مَاذَا تَنْقِمُونَ مِنَّا؟

ردًّا على كتاب

الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام

هاني طاهر

مَاذا تَنْقِمونَ مِنَّا

ردًّا على كتاب

الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام

هاني طاهر

الناشر: الجماعة الإسلامية الأحمديَّة في الديار المقدسة
الطبعة الأولى، 1420هـ. 2000م.
الطبعة الثانية، 1425هـ. 2004م.
الطبعة الثالثة، 1434هـ، 2013م.
بريد المؤلف:
islamhani@hotmail.com

مقدِّمة الطبعة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، خاتم الأنبياء والمرسلين، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أمّا بعد،

فليس هناك جماعة افْتُرِي عليها كما افْتُرِي على الجماعة الإسلامية الأحمديَّة؛ فلم يجد المعاندون أمام مَدِّ هذه الجماعة الربانية سبيلاً سوى اختلاق الأكاذيب. كما أنَّ البعض لا يهمه البحث الجادّ وتحري الحقيقة، فنراه ينقل أقوالاً قرأها هنا أو هناك من دون أنْ يتحقق مدى صحتها. ومن هؤلاء الدكتور موسى البسيط في كتابه (الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام)..إذ يمكن تقسيم كتابه إلى ثلاثة أقسام:

1-أمور كثيرة لا أصل لها؛ إن هي إلا مجموعة من الافتراءات، ذلك مثل: أنَّ حج المسلمين الأحمديين يكون لقاديان أو ربوة بدلاً من مكة، إنكار القرآن، نسخ الجهاد، موالاة المستعمر، عدم ختم النبوَّة بمحمد صلى الله عليه وسلّم، والاعتقاد بالحلول والتناسخ، وغير ذلك.

2-أمور صحيحة. مثل: وفاة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وفاة عادية من دون قتل أو صلب بعد أنْ عاش 120 سنة وتحديد قبره في كشمير، انقطاع النبوَّة التشريعية وعدم انقطاع النبوَّة التابعة، أنَّ المهدي والمسيح شخص واحد هو مرزا غلام أحمد عليه السلام.

3-أمور نزعت من سياقها بطريقة غيَّرت المعنى، أو أساءت إليه، خصوصًا في ما يتعلق بالإلهامات وبحديث الإمام المهدي عليه السلام عن الإنجليز.

ولا أراني في حاجة إلى التفصيل في الأمور التي لا أصل لها أو تلك التي نزعت من سياقها، مكتفيًا، بأنْ أطلب من القارئ الكريم أنْ يراجع كتب الجماعة الإسلامية الأحمديَّة ليتبين الحقيقة بعينه، أو أن يزور مساجد الجماعة ومراكزها في أية دولة في هذا العالم. بيد أني سأسهب في الحديث حول المسائل الصحيحة التي ذكرها وحاول، عبثًا، أنْ يردَّ عليها. وهي: مسألة وفاة عيسى ابن مريم عليه السلام وعدم انقطاع النبوَّة التابعة.

مقدمة الطبعة الثانية:

أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد، فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل خمس سنوات، فنفدت النسخ جميعها البالغ عددها 2000 نسخة. وحيث إن عددًا من القرّاء طالب بإعادة طبعه، فها أننا أبادر إلى ذلك.

لقد تم توزيع الكتاب في عدد من دول العالم، لكن أحدًا لم يقُم بمناقشته، رغم صداه المعروف. وهذا يعني-بالنسبة إليّ- أن أدلة الكتاب الناصعة، وطريقة العرض الحجاجية فاجأت من كان يحاول الردّ. هذا رغم أننا طلبنا من عدد من العلماء أن يردّ وأن يناقش. وهذه دعوة أخرى مفتوحة لمن رأى في نفسه القدرة على الردّ أن يردّ، وستكون قلوبنا واسعة لقراءة ردّه ومناقشته.

وحيث إن هذا الكتاب هو ردٌّ على كتابٍ هوجمت فيه جماعتنا الإسلامية الأحمديَّة زورا وبهتانا، فلا بدّ من التذكير بفضل الكتاب الأصلي الذي كان الدافع الأول وراء كتابنا.. ونحن إذْ نرحّبُ بالردود على كتابنا هذا، فإن مردّ ذلك إلى أنّ هذه الردود تفتح باب النقاش، وتؤدي إلى وضوح الأدلة الناصعة لنسبة أكبر من الناس، وهذا كلُّه في صالح أصحاب الفكر الأنصع والأقوى. من هنا يُحجم كثير من (العلماء) عن هذه المغامرة التي فيها يفشلون.

وإذْ نطالب الآخرين بأن لا يمنعوا العوامّ من قراءة كتبنا، فنحن نتعهد بأن نفتح الباب على مصراعيه أمام كتبهم لتدخل بيوتنا ويقرأها الصغير والكبير منّا؛ فالعدالة المطلقة أساس لدينا.

مقدمة الطبعة الثالثة:

مضى أكثر من ثلاثة عشر عاما على تأليف هذا الكتاب، وقد تغيّر مجرى النقاش خلال هذا الزمن، فقد كنا في البدايات نصُبُّ كلّ همّنا على أن نثبت للخصم أنّ قوله ليس قاطعا في المسألة، وأنه بحاجة إلى مزيد من البحث، لعله يقبل أن يفتح معنا نقاشا. لكننا الآن في وضع مختلف جدا، فلا يكاد خصومنا يذكرون أقوالهم التي باتوا منها يخجلون، وصار البدء بقولنا هو الغالب، وصرنا نطرح قول جماعتنا بكل ثقة أنه القول الواضح البسيط الذي ينتظره الجميع. من هنا رأيت أن أغيّر العبارات ذات الطابَع الدفاعي من الطبعة الأولى، وأن أغيّر الاستراتيجية؛ فقد كان السيناريو أنْ يستدل خصومنا بآية خاتم النبيين وبحديث "لا نبي بعدي" على انقطاع النبوة، واعتدنا أن نكون مدافعين في هذه المسألة، وكأنها شبهة ترِد علينا. بيد أن هذه الآية تُدينهم هُم لا نحن، وكذلك الحديث؛ فالإشكال واقع عليهم لا علينا؛ فهم الذين يؤمنون بنبي من خارج هذه الأمة وينسخ بعض أحكام شريعتها، لا نحن. فنحن لا نؤمن بنبي من خارج هذه الأمة، ولا بنبي ينسخ بعض الأحكام؛ لذا لا تعارضنا آية ﴿خاتم النبيين﴾ ولا حديث "لا نبي بعدي"، بل تعارضهم هم.

لا يجب علينا إذن أن نتناول قضية ختم النبوة من باب أدلة استمرارها.. فنحن وحدَنا مَن يقول بختم النبوة، فنرفض أن ينزل نبيٌّ من بني إسرائيل لهذه الأمة، ونرفض أن يأتي نبي بشريعة جديدة وينسخ الحرية الدينية والجزية.. أي أن على الآخرين أن يحاولوا أن يثبتوا استمرار النبوة ليبرِّروا نزول المسيح، وليس واجبا علينا نحن أن نبحث عن هذه الأدلة لتبرير بعثة المسيح الموعود عليه السلام، فأدلتُنا نحن كثيرة؛ فنزول المسيح أحاديثه متواترة، ووفاة المسيح قطعية، ووصف المسيح بالنبوّة ثابت من أنه نبي أصلا، ومن حديث "مسلم" الذي يصفه بالنبوة أربع مرات في حديث واحد..

لذا على الآخرين أن يحاولوا تبرير نزول المسيح من السماء، لا نحن.. عليهم أن يبرروا كيف ينزل وقد مات. وأن يبرروا كيف ينزل بينما الرسول ﷺ هو خاتم النبيين. ثم عليهم هم أن يشرحوا معنى خاتم النبيين في سياقه، وهو سياق المدح وإثبات الأبوة الروحانية للرسول ﷺ.

فهذه هي الاستراتيجية التي من خلالها أعيدُ صياغة بعض فقرات هذا الكتاب.

وفاة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

معلوم أنَّ الإنسان يعيش عمرًا معينًا ثم يموت. لذا فمن غاب عن بيته زمنًا طويلاً، يحكم القاضي بموته عند سن معينة، على اختلاف في تحديدها، لتقسيم الميراث مثلاً. ولا يقال: إنَّ هذا الشخص لم يثبت موته، ما يوجب الحكم بحياته مئات السنين، فالأصل أنْ يموت الإنسان بعد مدة محددة معروفة على وجه التقريب، ومعروف متوسطها الحسابي[1].

من هنا، غير جدير بأنْ يُسأل عن أدلَّة وفاة عيسى ابن مريم؛ فهي مسألة في غنًى عن دليل، بل يجب السؤال عن دليل حياته؛ فهناك ملايين من الناس الذين لم يثبت موتهم بدليل بيِّن، ومع هذا نحكم بموتهم. فالذي فُقد في الحرب العالمية الأولى من أجدادنا نقول عنه: إنَّه قد مات، مع أنَّ أحدًا لم يشهد أنَّه قد رآه ميتًا. والمعنى أنَّه إن لم يكن هناك دليل على وفاة المسيح عليه السلام، فيجب أنْ نحكم بموته بناء على الأصل؛ وهو موت أي إنسان عند سن معروفة تقريبًا.

ومع هذا، نرى أنَّ النبي الوحيد الذي اهتم القرآن الكريم بتأكيد وفاته هو المسيح ابن مريم عليه السلام، كما أكد ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم. وقد بدأ العلماء يرجعون إلى القول الحق في هذه المسألة، وصار كثير منهم يقول بوفاة المسيح ابن مريم، وتبين لهم دور النصارى في حشو هذي العقيدة في أذهان المسلمين.

إنَّ القول بصعود عيسى عليه السلام إلى السماء عقيدة نصرانية[2]لا جذور لها في الفكر الإسلامي؛ فالنصارى يعتقدون أنَّ المسيح قد مات على الصليب ثم صعد إلى السماء من قبره الذي وضع فيه، ليجلس إلى يمين الله. أما عندنا، نحن – المسلمين- فلم يُذكر في القرآن ولا في السنة أنَّ عيسى عليه السلام صعد إلى السماء قط، أو أنَّه حي. فالحياة، والسماء، والجسد بالنسبة إلى المسيح عليه السلام غير موجودة في القرآن أو في السنة، بل هي استنتاجات واجتهادات فُهمت خطأ من الآيات التي تذكر أن الله تعالى رفعه إليه، في حين أنَّ لفظ (الرفع) يَحتمل رفع المكان أو رفع المكانة. ونتيجة الأحاديث النبوية التي تتحدث عن نزول المسيح، علمًا أن (نزل) كلمة ذات عدَّة معانٍ، بمعنى أنَّها ظنية الدلالة، أي أنَّ الذين قالوا بوجوده في السماء ردوا المحكم إلى المتشابه، بدل أن يردوا المتشابه إلى المحكم.

وإليك أدلَّة وفاة المسيح عليه السلام بالتفصيل من خلال القرآن الكريم والسنة وأقوال العلماء المسلمين.

---

[1]قال الإمام تقي الدين الحصني الشافعي المذهب: "والصحيح أنه إذا مضت مدة يحكم القاضي بمثلها أنَّ مثله لا يعيش فيها، قُسم ماله بين الورثة حالة الحكم، ثمَّ في قدر المدة أوجه أصحها: يكفي مدة يغلب على الظن أنه لا يعيش أكثر منها، والله أعلم" (الحصني، تقي الدين، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، دار الفكر، ج2ص20)

[2]شلتوت، محمود، الفتاوى، دار الشروق، ط8، 1395هـ1975م، ص81

أدلَّة القرآن الكريم على موت عيسى عليه السلام

أولاً: قوله تعالى (إِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(آل عمران: 56)

(مُتَوَفِّيكَ): لا تعني هنا إلا مميتك، ولا تعني (رافعك) وافيًا بجسدك؛ وذلك للأدلَّة التالية:

1-إنَّ التَّوَفِّي إذا كان من باب التفعل، وكان الفاعل هو الله أو أحد الملائكة، وكان المفعول به (المتَوَفَّى) صاحب روح، ولم تكن قرينة صارفة؛ كالنوم أو الليل، فليس معناه إلا الموت. ولا يوجد أي مثال ينافي هذه القاعدة في القرآن، أو في السنة، أو في كلام العرب. ولو راجعت المعاجم العربية المختلفة لتبينت ذلك[1].

جاء في لسان العرب: تَوَفَّاه الله: إذا قبض روحه.

جاء في القاموس المحيط: تَوَفَّاه الله: أي قبض روحه.

ومثله في أقرب الموارد، وفي المنجد: تَوَفَّاه الله: أماته، وتُوُفِّيَ فلان: قُبِضَت روحه ومات.

2- وردت في القرآن الكريم كلمة تَوَفَّ (تَفَعَّل) 25مرة. وكانت في 23 مرة منها بمعنى الموت. إذ لم تكن قرينة صارفة. وكانت في مرتين بمعنى النوم؛ حيث وردت قرينة صارفة هي الليل في الآية 61 من سورة الأنعام، وفي الآية 43 من سورة الزمر. ولم تأت في أي منها بمعنى (قبضه وافيًا) كما جاء في بعض كتب التفسير.

وها هي الآيات جميعها:

1- وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلهنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(سورة البقرة: 235)

2- وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ(سورة البقرة: 241)

3-إِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون(سورة آل عمران: 56)

---

[1] قال شيخ الأزهر محمود شلتوت: وكلمة (توفى) قد وردت في القرآن كثيرًا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر"(شلتوت، الفتاوى، ص61)

4-رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ(سورة آل عمران: 193)

5-واللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ الله لهنَّ سَبِيلا (سورة النساء: 15)

6-إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتهاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (سورة النساء: 97)

7-مَا قُلْتُ لهمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي به أَنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (سورة المائدة: 117)

8-وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنهارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(سورة الأنعام: 60)

هنا جاء التَّوَفِّي بمعنى النوم لوجود قرينة هي (الليل).

9-وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ(سورة الأنعام: 61)

10-فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاته أُوْلَئِكَ يَنَالهمْ نَصِيبهمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتهمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنهمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهمْ كَانُوا كَافِرِينَ(سورة الأعراف: 37)

11-وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (سورة الأعراف: 126)

12-وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (سورة الأنفال: 50)

13-وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ الله شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (سورة يونس: 46)

14-قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله وَلَكِنْ أَعْبُدُ الله الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ (سورة يونس: 104)

15-رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين (سورة يوسف: 101)

16-وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (سورة الرعد: 40)

17-الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (سورة النحل: 28)

18-الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (سورة النحل: 32)

19-وَالله خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ الله عَلِيمٌ قَدِيرٌ(سورة النحل: 70)

20-يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتزتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بهيجٍ (سورة الحج: 5)

21-قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (سورة السجدة: 11)

22-الله يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (سورة الزمر: 2)

وهنا جاء التَّوَفِّي بمعنى النوم لوجود قرينة هي (في منامها).

23-هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (سورة غافر: 67)

24-فَاصْبِر إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (سورة غافر: 77)

25-فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتهمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (سورة محمد: 27)

كما لا بد من التذكير بأنَّ لكل جذرٍ فعليٍّ في اللغة العربية أوزانه المختلفة. وجذر المصدر الفعلي الصريح (التَّوَفِّي) هو الجذر الثلاثي(وفي). وقد ورد هذا الجذر الفعليّ (وفي) بصيغه المختلفة، ستًّا وستين (66) مرةً في أربعٍ وستين (64) آيةً قرآنية. جاء في (19) مرةً منها على وزن (فَعَّل)، وفي (20) مرةً على وزن (أفْعَل)، وفي (**25**) مرةً على وزن (**تَفَعَّل**)، ومرةً على وزن (اسْتَفْعَل)، ومرةً اسم تفضيل على وزن (أَفْعَل).

وهاكم الصيغ الستَّ والستين بالأوزان والآيات:

(**فَعَّل**): يُوَفَّ (البقرة: 273). تُوَفَّى (البقرة: 282). وُفِّيَت (آل عمران: 26). فَيُوَفِّيهم (آل عمران: 58). تُوَفَّى (آل عمران: 162). تُوَفَّوْن (آل عمران: 186). فَيُوَفِّيهِم (النساء: 174). يُوَفَّ (الأنفال: 61). نُوَفِّ (هود: 16). لَمُوَفُّوهُم (هود: 110). لَيُوَفِّيَنهم (هود: 112). تُوَفَّى (النحل:

112). يُوَفِّيهِم (النور: 26). فَوَفَّاهُ (النور: 40). لَيُوَفِّيَهُم (فاطر: 31). يُوَفَّ (الزمر: 11). وُفِّيَت (الزمر: 91). لِيُوَفِّيَهُم (الأحقاف: 20). وَفَّ (النجم: 38)

(**أَفْعَل**): أَوْفوا (البقرة: 41). أُوفِ (البقرة: 41). الموفُون (البقرة: 178). أَوْفى (آل عمران: 77). أَوْفُوا (المائدة: 2). أَوْفُوا (الأنعام: 153). أَوْفُوا (الأنعام: 153). أَوْفُوا (الأعراف: 86). أَوْفى (التوبة: 111). أَوْفُوا (هود: 86). أَوْفِي (يوسف: 60). أَوْفِ (يوسف: 89). يوفُون (الرعد: 21). أَوْفُوا (النحل: 92). أَوْفُوا (الإسراء: 35). أَوْفُوا (الإسراء: 36). وَلْيوفُوا (الحج: 30). أَوْفُوا (الشعراء: 182). أَوْفى (الفتح: 11). يوفُون (الإنسان: 8).

(**تفَعَّل**): يُتَوَفَّوْنَ (البقرة: 235). يُتَوَفَّوْنَ (البقرة: 241). مُتَوَفِّيكَ (آل عمران: 56). تَوَفَّنا (آل عمران: 194). يَتَوَفَّاهُنَّ (النساء: 16). تَوَفَّاهُم (النساء: 98). تَوَفَّيْتَني (المائدة: 118). يَتَوَفَّاكُم (الأنعام: 61). تَوَفَّته (الأنعام: 62). يَتَوَفَّوْنهم (الأعراف: 38). تَوَفَّنا (الأعراف: 127). يَتَوَفَّ (الأنفال: 51). نَتَوَفَّيَنَّكَ (يونس: 47). يَتَوَفَّاكُم (يونس: 105). تَوَفَّني (يوسف: 102). نَتَوَفَّيَنَّكَ (الرعد: 41). تَتَوَفَّاهُم (النحل: 29). تَتَوَفَّاهُم (النحل: 33). يَتَوَفَّاكُم (النحل: 71). يُتَوَفَّ (الحج: 6). يَتَوَفَّاكُم (السجدة: 12). يَتَوَفَّ (الزمر: 43). يُتَوَفَّ (غافر: 68). نَتَوَفَّيَنَّكَ (غافر: 78). تَوَفَّتهم (محمد: 28).

(**إسْتَفْعَل**): يستَوفُون (المطففين: 3).

(**أَفْعَل (التَّفْضيل)**): الأوفى (النجم: 42).

بيد أنَّ حديثنا عن الوزن (تَفَعَّل)، الذي لا معنى له غير الموت، إذا كان الفاعل هو الله أو أحد الملائكة، وكان المفعول به شيئًا ذا روح، ولم تكن قرينة صارفة. أما الأوزان الأخرى فلها معانٍ مختلفة أخرى، من دون أنْ تعني الموت. أما الصيغتان المتعلقتان بالمسيح ابن مريم فقد جاءتا على وزن (تَفَعَّل)، واللتان ثبت بالاستقراء في القرآن أنَّهما لا تعنيان إلا الموت، ما لم تصرفهما قرينة. ولم تصرفهما أية قرينة. وها نحن نعلنه تحديًا أنْ يؤتى بمثال واحد منْ كلام العرب عبر التاريخ ينافي ما نقول.

3–ورد في الحديث النبوي الشريف ما يؤيد هذا المعنى: فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ تُوُفِّيَ رَسُولُ الله وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُله ذُو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنه حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْته فَفَنِيَ[1]

كما أخرج عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنها قَالَتْ: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلّم فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَكَانَتْ إِحْدَانَا تُعَوِّذُهُ بِدُعَاءٍ إِذَا مَرِضَ فَذَهَبْتُ أُعَوِّذُهُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى[1]

---

[1] البخاري، كتاب فرض الخمس، باب نفقة نساء النبي بعد وفاته

4-ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري ما يؤكد هذا؛ حيث قال ابن عباس: مُتَوَفِّيكَ: مميتك[2]

لذا فإنَّنا نقول مطمئنين: إنَّ هذه الآية قطعية في دلالتها على موت عيسى عليه السلام.

ثانيًا: قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلـهيْنِ مِنْ دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَه تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لـهمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي به أَنِ اعْبُدُوا الله رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(سورة المائدة: 116-117)

يسأل الله تعالى عيسى عليه السلام يوم القيامة، عنْ سبب اتخاذ الناس إياه إلـهًا. فيجيب بأنَّه أمرهم بأنْ يعبدوا الله، وبأنَّه كان عليهم شهيدًا خلال مدة إقامته بينهم، أما وقد مات، فلا علم له بما حصل بعده منْ تأليه له؛ فكان الله تعالى هو الرقيب عليهم، وهو على كل شيء شهيد. ولو فرضنا أنَّ عيسى سيبعث منْ جديد فستكون إجابته غير صحيحة؛ إذ إنَّه سيعلم ما أحدثوا بعده، وسيكون عليهم رقيبًا.

وقد استدل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلّم بهذه الآية على الموضوع نفسه، فقال: (يُجاء برجال منْ أمتي... ثم يؤخذ برجال منْ أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول أصحابي؟ فيقال: إنَّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)... عن قبيصة قال: هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه)[3]

ثالثًا: لقد ذكر الله تعالى نعمه على عيسى عليه السلام ولم يذكر نعمة حياته في السماء آلاف السنين، ثم مجيئه ليكون للناس كافة، ثم نسخه تشريعات إسلامية، ثم نجاحه الباهر واتباع الناس جميعًا إياه ، ثم قتله ذلك الدجال الرجل صاحب الخوارق كما يتوهم البعض في تفسيراتهم للأحاديث النبوية البليغة المليئة بالمعاني، التي يفسرونها تفسيرًا خرافيًا. إقرأ قوله تعالى(إِذْ قَالَ الله يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ

[1]صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته

[2]صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة

[3]صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب واذكر في الكتاب مريم

وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنهمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ) (سورة المائدة: 111)

فهذه هي النعم التي أنعم الله بها على نبيه عيسى، وهذا هو معرض الحديث عنها. وعدم ذكر نزوله ليحكم العالم وتدين له البشرية في معرض الحاجة إلى ذلك، دليل على عدم حصوله بالنسبة إليه؛ فالسكوتُ في معرض الحاجة إلى بيانٍ بيانٌ[1]. فالآية يُفهم منها، ضمنًا، عدم مجيء عيسى عليه السلام إلى هذه الدنيا ثانية.

رابعًا: قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ) (سورة آل عمران: 145)

(خلت) تعني ماتت، ولا تعني هنا مرّت؛ فالآية تتحدث عن الموت، والمعنى: أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلّم رسول، مات منْ قبله الرسل جميعًا، فلماذا تهربون من المعركة وترتدون على أدباركم بعد سماعكم بموته، أو بقتله؟ فهو كمن سبقه من الرسل سيموت، وهذا لا يدعو إلى التراجع والهزيمة.

ولو فرضنا أنَّ معنى (خلت)، هنا، مرّت، لما كانت قيمة لهذا المعنى.

هذا بَلْهَ أنَّ كلمة (خلت)، كثيرًا ما جاءت في القرآن الكريم بمعنى ماتت. كما في الآيات التالية.

1-(كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلها أُمَمٌ) (سورة الرعد: 31)

2-(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) (سورة البقرة: 142)

واستعمل التعبير نفسه في الآية التالية: (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْله الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لهمْ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(سورة المائدة: 76)

و جاء في لسان العرب: خلا فلان إذا مات.

وفي أقرب الموارد: خلا الرجل إذا مات.

وقال السَّمَوْأل: إذا سيِّد منَّا خلا قام سيِّد قؤول لما قال الكرام فعول

أي إذا مات منا سيد قام مقامه سيد آخر[2].

خامسًا: قوله تعالى (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) (سورة مريم: 34)

والنص ذاته جاء عن يحيى عليه السلام: (وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) (سورة مريم: 16)

---

[1] هذه قاعدة فقهية معروفة. انظر مدخل إلى الفقه الإسلامي، جامعة القدس المفتوحة، 1996، ص217

[2] انظر: نذير أحمد، القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح، الكبابير: الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، 1961، ص8

والمقصود بيوم بعثه حيًّا: يوم القيامة؛ إذ لا يقول أحد إنَّ يحيى في السماء. ثم إذا كان عيسى عليه السلام في السماء فإنَّه سيهبط، ولن يُبعث، إذ إنَّ البعث هنا بعث من الموت، بينما يقول البعض إنَّ عيسى حي في السماء، وليس ميتًا.

ولو كان هناك صعود له إلى السماء لقالت الآية: والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أصعد إلى السماء ويوم أنزل ويوم أموت ويوم أُبعث حيًّا. فلو كان صعد إلى السماء لكان اليوم يومَ سلام خاصًّا به تميز به عن البشر جميعًا، وتفوَّق به على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلّم.

سادسًا: قوله تعالى (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنها تُخْرَجُونَ) (سورة الأعراف: 26)

لم يقل تحيون فيها، بل استخدم صيغة تفيد الحصر، وهي صيغة تقديم شبه الجملة (فيها) على الفعل؛ والمعنى أنَّكم تحيون في الأرض حصرًا، فلا يمكن أنْ يحيا الإنسان في هذه الدنيا في غير الأرض، أو يموت في غيرها، أو يُبعث منْ غيرها.

أدلَّة الحديث النبوي الشريف على موت عيسى عليه السلام

لم يتحدث نبينا عليه الصلاة والسلام عنْ موت أحد من الأنبياء، وعنْ مدة حياته كما تحدث عنْ موت عيسى عليه السلام. وليس هذا عبثًا، إنَّما كان لا بد من التأكيد على ذلك لأن أتباع نبي الله عيسى عليه السلام أخذوا يؤلهونه. فكان لا بد من التأكيد على موته، بل تحديد سن وفاته، لنسف هذا الاعتقاد ومقدماته. وأنقل في ما يلي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم:

أولاً: الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم: وإنَّ عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائة. وإنِّي لا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين[1]. وهذا نص لا يحتمل تأويلا في موت نبي الله عيسى عليه السلام.

ثانيًا: الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم: لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي[2].

كما روى البخاري عن عبد الله بن عباس قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ الله عليه الصلاة والسلام لَيْلَةً صَلاةَ الْعِشَاءِ وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ الْعَتَمَةَ ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنها لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَد)[3].

[1] الهندي، علاء الدين، كنز العمال، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج11ص479، رقم الحديث 32262. يستنكر البعض احتجاجنا بهذا الحديث مشيرين إلى عدم معقولية نصّه كاملا، لكن معناه هو أنّ أي نبي لا بد أن يعيش نصف عمر النبي الذي سبقه.. وهذا لا يعني أن لا يعيش أكثر من النصف، بل يجب أن يعيش نصفه على الأقل.

[2] الشعراني، عبد الوهاب، اليواقيت والجواهر، مصر: مطبعة عباس عبد السلام بن شقرون، ط1، 1351هـ.

[3] صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة

وحيث إنَّ عيسى في الأرض(فيها تحيون)، سواء أحيًّا كان أم ميتًا، فإنَّه لا بد أنْ ينطبق عليه الحديث.

أقوال العلماء في موت عيسى عليه السلام

قبل أنْ نذكر أقوال بعض العلماء يجدر أنْ نذكر إجماع الصحابة السكوتي على موت عيسى عليه السلام. فعندما توفي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلّم لم يُصدّق نبأ وفاته كثير من الصحابة، وقال بعضهم: لعله ذهب لملاقاة ربه كما ذهب موسى عليه السلام حين واعده ربه لينَزِّل عليه التوراة. ثم جاء أبو بكر الصديق، وأعلن وفاته، مستشهدًا بقوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ الله شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ)[1]، فسكت الصحابة لما سمعوا أبا بكر، وحزنوا كثيرًا لتيقنهم منْ موت نبيهم .

هذه الحادثة تدل على أمرين:

1- لم يخطر ببال أحد من الصحابة وجود عيسى عليه السلام حيًّا في السماء، بدليل أنَّ بعضهم تحدث عن رحلة موسى عليه السلام إلى الجبل، ولم يقل أحد منهم: لعل نبينا ذهب إلى السماء. ما يؤكد أنَّ الاعتقاد بحياة عيسى جاء متأخرًا بتأثير النصارى.

2- لم ينكر أحد من الصحابة على أبي بكر استدلاله بآية (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْله الرُّسُلُ) على موت الأنبياء جميعًا قبل محمد صلى الله عليه وسلّم. ما يؤكد إجماعهم السكوتي على موت الأنبياء جميعًا.

وقد ظل كثير من المسلمين يقول بموت عيسى عليه السلام عبر التاريخ الإسلامي، ولم يكن القول بذلك مقصورًا على الإمام مالك[2]، وابن حزم[1] وحدهما، بل قال به غيرهما.

---

[1] آل عمران: 145

[2]ورد قول الإمام مالك في عدد من المصادر، مثل: كتاب إكمال إكمال المعلم للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأُبيّ وهو شرح لأحاديث صحيح مسلم، حيث قال الشارح: "وفي العتبية قال مالك: مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة. قال ابن رشد: يعني موته: خروجه من عالم الأرض إلى عالم السماء. قال: ويحتمل أنه مات حقيقة، ويحيا في آخر الزمان، إذ لا بدّ من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك. انظر: الوشتاني، محمد بن خليفة، الإكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ1994م، ج1ص445. كما أورد قولَ مالك الشيخُ محمد طاهر الغجراتي في مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل، وهو قاموس لشرح غريب القرآن والحديث، حيث قال: "والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" وتابع قائلا: "ولعله أراد رفعه إلى السماء، أو حقيقته (أي حقيقة الموت) ويحيا آخر الزمان لتواتر خبر النزول." انظر: الغجراتي، محمد طاهر، بحار الأنوار، ج1ص387. كما أورده ابن رشد في البيان والتحصيل، حيث قال: "ويحتمل أن يكون معنى قوله (بل رفعه الله إليه)، أي رفع روحه إليه بعد أن مات، ويحييه في آخر الزمان، فينزله إلى الأرض على ما جاءت به الآثار، فيكون قول مالك على هذا ومات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة على الحقيقة لا على المجاز" انظر: ابن رشد، أبو الوليد، البيان والتحصيل، تحقيق محمد حجّي، إدارة إحياء التراث الإسلامي دولة قطر، د.ط، 1406هـ1986م، ج18ص448. وأورده القاضي ابن عطية في المحرر الوجيز، حيث قال: "وقال مالك في العتبية: مات عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ1993م، ج1ص444

وقد كثُر القائلون بذلك في القرنين الأخيرين، حيث رأينا كتبًا تؤلف في هذا الموضوع، وسمعنا فتاوى من كبار المشايخ حول ذلك. وفي ما يلي أنقل أقول بعض العلماء المتأخرين:

أولاً: قال مفتي الأزهر، محمود شلتوت في فتواه الشهيرة[2]: "ليس في القرآن الكريم، ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأنَّ عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنَّه حي إلى الآن فيها"[3].

ثانيًا: قال سيد قطب: "والنص صريح هنا في موت عيسى وبعثه. وهو لا يحتمل تأويلاً في هذه الحقيقة ولا جدالاً"[4].

ثالثًا: قال الشيخ عبد الله القيشاوي في مناظرته مع القس ألْفريد نِلسن: "فليس المراد من صعود المسيح ورفعه إلى الله صعوده ورفعه إليه في السماء بجسده العنصري؛ وهو حي، كما فهمه المسيحيون وبعض المسلمين"[5].

رابعاً: قال الفخر الرازي: "واعلم أنَّ هذه الآية تدل على أنَّ رفعه في قوله (ورافعك) هو رفع الدرجة والمنقبة؛ لا المكان والجهة، كما أنَّ الفوقية في هذه الآية ليست بالمكان؛ بل بالدرجة والمكانة[6].

خامسًا: نقل د. أحمد شلبي قول كثير من العلماء الذين قالوا بموت عيسى. مثل:

الآلوسي الذي قال: إنَّ قوله تعالى (إِنِّي مُتَوَفِّيك) معناه على الأوفق: إنِّي مستوفي أجلك، ومميتك موتًا طبيعيًّا؛ لا أسلط عليك من يقتلك، والرفع الذي كان بعد الوفاة، هو رفع المكانة لا رفع الجسد، خصوصًا وقد جاء بجانبه قوله تعالى (وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذين كَفَروا) ما يدل على أنَّ الأمر أمر تشريف وتكليف.

[1]ورد قول ابن حزم في كتابه الشهير (المحلى)، حيث قال: "فالوفاة قسمان، نوم وموت فقط، ولم يرد عيسى عليه السلام بقوله(فلما توفيتني) وفاة النوم؛ فصحَّ أنّه إنّما عنى وفاة الموت" ابن حزم، أبو محمد علي، المحلى، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل، د.ط، د.ت، ج1ص23، رقم المسألة 41

[2]هذه الفتوى التي أحدثت ضجّة كبيرة وقت صدورها في الأربعينيات من القرن الماضي، فقد هوجم شلتوت بسببها، واتُّهم بأنه يعمل على نشر الفكر الأحمدي. ولكن الحقيقة أنه ينشر ما يراه حقًّا، ولكن هؤلاء مسكونون بفكر المؤامرة.. وحيث إن الأفكار الإسلامية التي تتبناها الجماعة الإسلامية الأحمديَّة ناصعة فإن من يتأثر بها وينشرها يُتَّهم بأنه أحمدي أو أنه ينشر الأحمديَّة.. لكن ليعلم هؤلاء المتَّهَمون أن الحجةَ قد أُقيمت عليهم أكثر من غيرهم في وجوب الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام بعد أن رأوْا بأمّ أعينهم تجديداته الدينية العظيمة.

[3]شلتوت، محمود، الفتاوى، ص65.

[4]قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط7، 1971، ج13ص435.

[5]القيشاوي، عبد الله، أفكار المؤمنين في حقائق الدين، بيروت: المطبعة الأمريكانية، 1939، ص13.

[6]الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، طهران: دار الكتب العلمية، ج7ص69.

وقال د. شلبي: إنَّ ابن حزم يرى أنَّ الوفاة في الآيات تعني الموت الحقيقي، وأنَّ صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له، وأن عيسى –بناء على هذا– مات، ولكنه سيعود قبيل القيامة، وعودته إحياء جديد.[1] ،[2]

سادسًا: قال الشيخ محمد رشيد رضا:"ليس في القرآن نص صريح بأنَّ عيسى سينزل من السماء، وإنَّما هي عقيدة أكثر النصارى، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها في المسلمين"[3].

سابعًا: قال الشيخ محمد الغزالي:"ومن رأيي أنَّه خير لنا نحن المسلمين ... أن نرى الرأي الذي يقول إنَّ عيسى مات، وإنَّه انتهى.. وأرى من الآيات التي أقرؤها في الكتاب أنّ عيسى مات، وأن موته حق، وأنَّه كموت سائر النبيين"[4].

ثامنًا: قال الشيخ محمد أبو زهرة:"إنَّ نصوص القرآن لا تُلزمنا بأنَّ المسيح رفع إلى السماء بجسده"[5].

كما قال بموت عيسى عليه السلام عبد الوهّاب النجار، والشيخ المراغي[6]، وأستاذه الإمام محمد عبده.

أدلَّة القائلين برفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيًّا ومناقشتها

أولاً:قول الله تعالى (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بهتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبه لهمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنه مَا لهمْ به مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) (سورة النساء: 158)

وجه استدلالهم:

قالوا: كونه لم يُقتل ولم يُصلب يعني أنَّه لم يمت، فهو بالتالي حي في السماء.

مناقشة هذا الاستدلال:

---

[1] ذكرنا هذا القول فيما سبق، وهو محاولة للربط بين أدلَّة وفاة عيسى وأدلَّة نزوله، فاجتهد ابن حزم، وقال بموته وإحيائه ثانية، رغم أنَّ هذا يعارض قوله تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنه لا يرجعون)، ويناقض النزول، إذ لا تعني كلمة النزول الإحياء من قريب أو من بعيد؛ فالأحاديث تقول بنزول عيسى، ولم تقل بإحيائه. لذا لم ينجح ابن حزم بالتوفيق بين النصوص. ورغم أنه قال بموت عيسى الذي ثبت له بالأدلَّة القطعية، أضاف الإحياء ظنًا منه أنَّ النزول يوجب الإحياء.

[2] شلبي، أحمد، مقارنة الأديان(المسيحية)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1978، ص52.

[3] شلتوت، الفتاوى، ص81

[4] شلبي، المسيحية، ص56

[5] المرجع السابق، ص55

[6] المرجع السابق، ص55

عدم القتل لا يعني عدم الموت، فغالبية الناس يموتون، ولا يُقتلون، ونبي الله عيسى أحد هؤلاء الذين نجّاهم الله من القتل وعاش حياة طويلة بعد محاولة صلبه، حيث مات وهو ابن 120 سنة، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

ثانياً: قوله تعالى (بَلْ رَفَعَهُ الله إِلَيْهِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا) (سورة النساء: 159)

وجه استدلالهم:

قالوا: يدل قوله تعالى (بل رفعه الله إليه) على أنَّ الرفع إلى السماء، وهو رفع جسدي، إذ لا يُعقل أنْ يكون معنى الآية وما قتلوه وما صلبوه بل رفع الله مكانته، إذ إنَّ الأنبياء كلهم مرفوعو الدرجة والمكانة عند الله.

مناقشة هذا الاستدلال:

يُردُّ على هذا الاستدلال من وجهين؛ أولهما: أنَّ الله تعالى منزه عن المكان، فهو –جلَّ شأنه– خلق المكان والزمان، وهو بكل شيء محيط، ولا تحيط به الجهات الست،[1] ومن هنا، لا يجوز أنْ نقول إنَّ عيسى عليه السلام قد صعد عند الله تعالى، فهذه عقيدة النصارى تمامًا، الذين يؤلهون عبد الله عيسى عليه السلام، ومن هنا يجدر أنْ تكون هذه الآية واضحة الدلالة على أن عيسى عليه السلام قد مات في الأرض، والرفع رفع الدرجة. فكلمة (إليه) تؤكد المكانة؛ لأن الله تعالى مُنَزَّه عن المكان.

وقد ناظرت أحد المستدلين بهذه الآية فسألته: هل الله تعالى موجود في مكان؟ قال: لا. فسألته: هل تم رفع عيسى عليه السلام إلى مكان؟ قال: نعم. فقلت: إذًا لم يرفع عند الله مكانًا؟ قال: نعم. قلت: ما الفرق بين السماء كمكان وأي جبل أو أي مكان في الأرض بالنسبة إلى الله؟ قال: لا فرق. قلت: ما المانع، إذًا، أنْ نقول: إنَّ عيسى عليه السلام قد رُفع إلى جبل ما، إذا كنت مصرًّا على أنَّ الرفع رفع مكان، وليس رفع مكانة. فسكت.

على أنّنا لا نلوم المشَبِّهَةَ في الاستدلال بهذه الآية على وجود عيسى في السماء، فهؤلاء يعتقدون أنَّ الله موجود في مكان، وأنَّه جسم، وأنّ له حيِّزًا، وأنّه موجود في جهة. لكننا نلوم منزِّهي الله تعالى عن المكان والجهة الذين يستدلون بهذه الآية على رفع عيسى عند الله. إنَّهم –بلا شك– متناقضون[2].

---

[1] انظر متن العقيدة الطحاوية

[2] قال الشيخ محمود شلتوت تعقيبًا على الاستدلال بهذه الآية:"وإذًا فالتعبير بقوله(ورافعك إليَّ) وقوله (بل رفعه الله إليه) كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى، وفي (إنَّ الله معنا) وفي (عند مليك مقتدر). وكلها لا يُفهم منها سوى معنى الرعاية والحفظ والدخول في الكنف المقدّس. فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (إليه)؟ اللهم إنَّ هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح" (شلتوت، الفتاوى، ص63)

وثانيهما: أنَّ القائلين بهذا يذهبون في تفسير الآية إلى مذهب خاطئ لا أصل له، مفاده أنَّ اليهود ذهبوا ليلقوا القبض على عيسى، فأُلقي شبههُ على إنسانٍ آخرَ، وتم رفع جسد عيسى إلى السماء مباشرة.

الحق أنَّ هذا التفسير تبطله أدلَّة عديدة:

1-لو أراد الله أن ينجّي نبيه بهذه الطريقة، فما مبرر أنْ يلقي بشبهه على أحد آخر؟ فرفعه إلى السماء كافٍ لإنقاذه، فتكون هذه خطوة إضافية لا تفيد شيئًا في نجاة المسيح.

2-إنَّ القائلين بهذا التفسير ينقسمون إلى قسمين في تحديد الشخص الذي أُلقي عليه شبه المسيح، فبعضهم يقول: إنَّ الشبه ألقي على يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح، وبعضهم يقول: بل ألقي الشبه على أحد الحواريين المخلصين للمسيح، حيث طلب منه المسيح ذلك، مقابل أنْ يكون رفيقه في الجنة. وهذا يشير إلى أن التفسير سابق للروايات التي وُضِعَت لتبرير هذا التفسير.

3-إنَّ كلتا الروايتين لا يمكن قبولها عقلاً؛ فإلقاء الشبه على الخائن منقوض من حيث إنَّ الله تعالى لا يمكن أنْ يشوه صورة نبيه بإلقاء صورته على إنسان خائن كافر. والرواية الثانية مسيئة جدًّا إلى نبي الله تلك التي صوَّرَتْه إنسانًا جبانًا يهرب تاركًا أصحابه يموتون ويقتلون بدلاً عنه؛ فهذا مخالف لمهَمَّة الأنبياء، بل مخالف للأخلاق الكريمة. فها هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم يصمد في أحد وحنين بعد أنْ لم يبق معه سوى ثلّة قليلة من المسلمين؛ فقد فرَّ البقية. ولم يهاجر إلى مكة إلا حين اطمأن على صحابته بعد وصولهم المدينة.

4-إنَّ إلقاء شَبه فلان على فلان قضية تلبيسية ليست من سنة الله إطلاقًا؛ فالله تعالى لا يتعامل مع البشر بهذا الغموض والتعقيد، كما ورد في التوراة أنَّ الميت على الصليب ملعون من الله، ولا يمكن أنْ يكون نبيًّا، فهل أراد الله أنْ يُلَبِّسَ على بني إسرائيل من خلال تيقنهم أنَّهم قتلوا المسيح صلبًا؟

5-إنَّ عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، بمعنى أنَّه عانى واضطهد وتعذب. في حين يظهر أنَّه -حسب القصة المزعومة(قصة الشبيه)- لم يعان شيئًا، بل إنَّ الله رفعه إلى السماء قبل اقتراب الكفار منه!! بينما رأينا نبينا وسيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلّم يُرمى بالحجارة، وتُلقى عليه الأوساخ، ويُشجُّ في المعارك، فكيف كان عيسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل إذًا؟

6-إنَّ هذه القصة مناقضة لسنة الله في بعث الرسل، وقد قال تعالى (سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً) (سورة الفتح: 24).

7-الإيواء الذي نصَّته الآية الكريمة: (وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ) (سورة المؤمنون: 51). ووجه الاستدلال أن الإيواء هو اللجوء بعد الاضطهاد والتعرض إلى صعوبات ومصائب. والمرة الوحيدة التي لجأ فيها المسيح إلى منطقة أخرى بعد اضطهاده هي بعد حادثة

الصلب ونجاته منه، أما إذا تمّ تفسير حادثة الصلب بأنها رفع للمسيح إلى السماء من دون تعرضه إلى أيّ أذىً فلن تكون للآية أيّة مصداقية.

ولكن كيف فسر العلماء هذه الآية؟ لقد قالوا إن الإيواء تمّ عند ولادة المسيح، وهذا خطأ؛ لأن المسيح عند ولادته لم يتعرض إلى أيِّ اضطهاد، فليس هناك عاقل يلوم مولودًا حتى لو ظنّ أنه وُلد بالحرام! والآية تذكر أن المسيح وأمّه قد آواهما الله، أي ألجأهما بعد اضطهاد، ولم يلجئ أمّه وحدها.

ثم إن الآية تتحدث عن ربوة ذات قرار ومعين، أي مكان مرتفع، يستقر فيه العيش وتجري فيه الماء.. لذا اختلف المفسرون في هذا المكان كثيرًا، فقال بعضهم: بيت المقدس، وقال آخرون: الرملة، وقال غيرهم: مصر، والأكثرون: دمشق[1].. ولا شك في بطلان هذه الأقوال جميعها؛ فليس منها مكان يجمع بين الارتفاع والاستقرار وجريان الماء فيه.. إذًا أخطأ المفسرون في مسألتيْن في تفسير هذه الآية؛ أولاهما: القول بإيواء المسيح قبل تعرضه للاضطهاد، وثانيتهما القول برحلته إلى أمكنة لا تنطبق عليها مواصفات الآية.. أما حسب تفسيرنا، فالآية تتحدث عن رحلة المسيح -بعد تعرضه للتعذيب على الصليب- إلى بلاد الشرق، واستقراره في كشمير؛ تلك البلاد العالية التي تجري فيها الأنهار ويستقر فيها العيْش.

8-قال تعالى (وَمَكَروا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرِينَ) (سورة آل عمران: 55). ثم قال عزّ وجلّ (إِذْ قالَ اللهُ يَا عيسى إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ) (سورة آل عمران: 56)، "فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم إلى نحورهم، وأنَّه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه...ولست أدري كيف يكون إنقاذ عيسى بطريق انتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكرًا؟ وكيف يوصف بأنَّه خير من مكرهم مع أنَّه شيء ليس في استطاعتهم أنْ يقاوموه، شيء ليس في قدرة البشر؟ ألا إنَّه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريًا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا في شأن نبينا محمد (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (سورة الأنفال: 31)"[2]

8-حسب التفسير المتداول، فإنَّ شُبِّهَ لهم تعني شُبِّهَ لهم رجل بعيسى عليه السلام. يعني: المشبه هو الرجل، والمشبه به هو عيسى عليه السلام.

لكنّ إسناد الفعل (شُبِّهَ) إلى الرجل المصلوب غير جائز؛ لأنه لا ذِكر له في الآية.. فيجب ألاَّ يعود الضمير على شيء لا وجود له في السياق.

---

[1] انظر: الرازي، التفسير الكبير، ج11 ص380

[2] شلتوت، الفتاوى، ص64

وقد فَطِنَ الزمخشري إلى هذا حين قال: فإن قلتَ: (شُبِّهَ) مسند إلى ماذا؟ إن جعلته مسندًا إلى المسيح، فالمسيح مُشَبَّه به وليس بِمُشَبَّه. وإن أسندته إلى المقتول، فالمقتول لم يجرِ له ذِكر.[1]

ولكن المرويات الضعيفة أدَّت برجل بليغ كالزمخشري إلى أن يأتي بشيء غريب حين تابع قائلا: قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور، وهو (لهم)، كقولك (خُيِّل إليه)، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه.

بيد أن هذا لا يصفو للزمخشري؛ لأن قوله (خُيِّل إليه) لا يعني أنه وقع لهم التشبيه برجل آخر، بل يعني أنه خُيِّل إليهم أنه مصلوب. ثم ما معنى أن يُسند الفعل إلى الجار والمجرور؟! أليس الفعل يسند إلى فاعل أو نائب فاعل، فقط؟ ويبدو أن الزمخشري شعر بضعف هذا الاحتمال، لذا فقد تابع حديثه ليأتي باحتمال آخر، فقال: "ويجوز أن يُسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله (إنا قتلنا) يدل عليه، كأنه قيل: ولكن (شُبِّه لهم من قتلوه)." ولا شكّ أن هذا أضعف من سابقه؛ فهل يُعقل أن يكون قوله تعالى (إنا قتلنا) يدل على وجود مقتول؟ ألا يمكن أن يدل على توهم قتل المسيح؟ ثم لو دلَّ على وجود مقتول استنتاجًا، فهل يصحُّ أن يعود الضمير على شيء يمكن استنتاجه احتمالاً ولا وجود له ذِكرًا؟

أمّا تفسيرنا لهذه الآيات فهو: أنَّ اليهود لما كفروا بعيسى عليه السلام أرادوا قتله صلبًا؛ فمكتوب عندهم في التوراة أنَّه ملعون من صُلِب. لكن خاب مكرهم، وشاء الله أنْ ينصر نبيه ويرفع درجته ومكانته وينزهه عن اللعن من خلال موته على الصليب، فأكد أنَّهم ما قتلوه بأية طريقة، ولا بالصلب بالذات(حيث ذكر الخاص بعد العام لأهميته)، بل إنَّ الله رفع درجته ومكانته. وقد اشتبه عليهم قتله؛ وظن كثير منهم أنَّهم ما قتلوه؛ إنَّما أُنزل عن الصليب حيًّا[2]، ولم يمت، لذا قال تعالى في الآية (وما قتلوه يقينًا) أي وما قتلوه وهم متيقنون من قتله، بل ظلوا في شك من أمر قتله. ومثال على ذلك: أنك لو ضربت أفعى بحجر، وظننت أنك قتلتها، نقول لك: أنت ما قتلتها بل شُبه لك، أو اشتبه عليك الأمر، ولا يُفْهَمُ من هذا أنك قتلت أفعى غيرها. لذا نختصر الموضوع بما يلي: إنَّ اليهود أرادوا أنْ يصلبوا عيسى ليثبتوا أنَّه ملعون، وشاء الله أنْ ينجي نبيه من هذا، ففشل اليهود في خطتهم، ولم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه، وبدل لعنه رفع الله درجته.

ومما يؤكد أنَّ الرفع يعني رفع الدرجة والمنزلة قوله تعالى (بل رفعه الله إليه) إذ إنَّ الله تعالى منزه عن المكان، لا تحيط به الجهات الست كسائر المخلوقات، ومن هنا يجب ألاّ نفهم هذه الآية من ناحية مادية، وإلا وقعنا في التشبيه والتجسيم والعياذ بالله.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، ج1ص580

[2] يبدو –أول وهلة– أنّنا نقول بصلب المسيح عليه السلام، فيجدر أنْ نتذكر هنا أنَّ من عُلّق على حبل المشنقة ثم أُنزل حيًّا لا يُسمى مشنوقًا. وهكذا من أوشك على الغرق ولم يغرق لا يُسمّى غريقًا. ومثله، من جرح في المعركة ولم يُقتل لا يُسمّى شهيدًا. فالمشنوق من مات شنقًا. والغريق من مات غرقًا. والشهيد من مات في المعركة. ومن ثمّ، فالمصلوب من مات صلبًا. وعيسى عليه السلام لم يُصلب، بمعنى أنه لم يمت صلبًا. لكنه عُلِّقَ على الصليب، وتعذب وصبر، وأُنزل حيًّا.

وإذا كان الرافع هو الله، والمرفوع هو الإنسان، لا يعني هذا سوى رفع المنزلة، اقرأ قوله تعالى (وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ واتَّبَعَ هَواه) (سورة الأعراف: 177) وقوله تعالى(يَرْفَعِ اللهُ الّذينَ آمَنوا مِنْكمْ والذين أوتوا العِلْمَ دَرَجات) (سورة المجادلة: 12) ، وقوله تعالى (في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ) (سورة النور: 37) ، وقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلّم: وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[1].

كما ذكر الله تعالى عن إدريس(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّه كَانَ صِدِّيقًا نبيًا*وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) (سورة مريم: 56-57).

لم يشتهر بين المسلمين –في يوم من الأيام– أنَّ إدريس في السماء، ما يعني أنَّ الاستدلال بقوله تعالى (بل رفعه الله إليه) جاء بعد بحث عن دليل لإثبات رفع عيسى إلى السماء بعد أنْ دخلت هذه العقيدة من عند النصارى، أما لو كان هذا الدليل قائمًا بذاته، ودالاًّ على رفع عيسى إلى السماء، لقالوا القول ذاته عن إدريس عليه السلام، ولما نظرنا فلم نجد سوى قلة من العلماء قالوا بحياة إدريس في السماء، قلنا: إنَّ فكرة وجود عيسى في السماء قد جاءت بدايةً، ثم بُحث لها عن دليل، فلما وجدوا قوله تعالى (بل رفعه الله إليه) طاروا به كل مطار.

ثالثاً: قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) (سورة النساء: 159).

وجه استدلالهم:

قالوا: إنَّ الضميرين في قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته) يعودان إلى عيسى عليه السلام. والمعنى: وإن من أهل الكتاب إلا ليصدقن بعيسى قبل موت عيسى بعد نزوله إلى الدنيا في آخر الزمان.

مناقشة هذا الاستدلال:

إنَّ العلماء اختلفوا في الضمير في (موته) على أقوال منها عيسى عليه السلام، ومنها الكتابي.

وكذلك اختلفوا في ضمير (به) على أقوال منها محمد صلى الله عليه وسلّم، ومنها الله جلَّ شأنه، ومنها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

لذا فإنَّ دلالة الآية ليست قطعية، بل متعددة. ومعلوم أنه إذا تعدّد الاحتمال بطُل الاستدلال.

ولو فرضنا أنَّ الضميرين يعودان إلى عيسى لكان هذا المعنى مناقضًا للعقل؛ إذ إنَّ معناه سيكون: لا بد أنْ يؤمن أهل الكتاب كلهم بالمسيح قبل موت المسيح؛ وهذا يتطلب بقاء أهل الكتاب أحياء منذ ألفي سنة، وحتى نزوله ليؤمنوا به، وهذا لم يحصل، فبطُل المعنى على البديهة.

[1]صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع

بيْد أنّ كثيرًا من المفسرين –هروبًا من هذا التفنيد– قد أتوْا باحتمال آخر أو وجه آخر لتفسيرها، فقالوا: كل كتابيّ لا بدّ أن يؤمن بعيسى قبل موت هذا الكتابيّ، ذلك أنه إذا أوشك على الموت و((عايَنَ، عَلِمَ الحقَّ من الباطل، لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه))[1]

وهذا –كما هو ملاحَظ– محاولة تفسيرية للخروج مما ألزموا أنفسهم به؛ أي أنهم وضعوا التفسير المتداول أوّلاً، فلمّا رأوا هذه الآية، قالوا: لا بدّ أن يكون تفسيرها هكذا. وهذا يؤكد أنها ليست دليلاً؛ لأن الدليل يجب أن يكون قائمًا أصلاً، لا أن يُبحث عنه ويوضع له تفسير موافق لما هو مؤَصَّل سلفًا.

أمّا معنى الآية فيشرحه المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول بعد أن سرد الآية في سياقها:

" ما من أهل الكتاب لا يؤمن ببياننا المذكور آنفا – أي عن أفكار أهل الكتاب أنفسهم – قبل أن يؤمن بحقيقة أن المسيح قد مات ميتة عادية. أيْ بيّنّا من قبل أنه أن لا أحد من أهل الكتاب يؤمن من أعماقه بأن المسيح مات على الصليب في الحقيقة، بل إن اعتقاد اليهود والنصارى كلهم بموته على الصليب مبني على الظن والشك فقط، وإن بياننا هذا صحيح تماما ولا يسع أحدا إنكاره. غير أنهم لا يعرفون عن موعد موته، فها نحن نخبرهم بذلك بأنه قد مات وأن روحه قد رُفعت إلينا بإكرام". (إزالة الأوهام).

رابعًا: قوله تعالى (وَإِنَّه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بها وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (سورة الزخرف: 62)

وجه استدلالهم:

قالوا: إنَّ عيسى عليه السلام من علامات الساعة، حيث سينزل قبيل يوم القيامة، وهذا مصداقًا للأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد أنَّه ذاته سينزل.

مناقشة هذا الاستدلال:

قال الله تعالى: وإنَّه لَعِلمٌ، ولم يقل سيكون عِلْمًا للساعة؛ أي أنّ الحديث عن بعثته السابقة وليس عن بعثة أخرى مستقبلية. والساعة هنا لا تعني يوم القيامة، بل تعني ساعة انقطاع النبوَّة عن بني إسرائيل، ذلك أن الله تعالى نزع النبوَّة منهم وجعلها في بني إسماعيل، وكان عيسى عليه السلام هو آخر رسول في بني إسرائيل، فكان عِلْمًا لهذا الانقطاع.

خامسًا: قوله تعالى عن عيسى عليه السلام (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ) (سورة آل عمران: 47)

[1] تفسير ابن كثير، ج1ص546

وجه استدلالهم:

قالوا: لقد كلم المسيح ابن مريم الناس عندما كان في المهد صبيًّا، وسيكلمهم عندما يكون كهلاً، وحيث إنه رفع إلى السماء وهو شاب في الثالثة والثلاثين من عمره كان لا بد من نزوله لتنطبق الآية.

مناقشة هذا الاستدلال:

لقد كلم المسيح الناس في المهد وفي الكهولة؛ فالكهولة هي السن بين الثلاثين والخمسين من العمر تقريبًا، كما جاء في المعاجم[1]، ولا يسمى ابن الثمانين كهلا، ولا ابن الألفين. أمّا ما شاع من استخدام هذه اللفظة بالنسبة إلى كبيري السن فهو استخدام خاطئ لغويًا، حال كثير من الكلمات التي نستعملها في عاميتنا خطأً.

إنَّ الآية تتحدث عن مرحلتين للمسيح عليه السلام: المرحلة الأولى التي كانت في فلسطين، والثانية التي كانت في بلاد الشرق؛ حيث قبائل بني إسرائيل التي ذهب ليبلغها رسالة ربه. وقد هاجر المسيح إلى بلاد الشرق ليبلغ رسالة ربه قبائل بني إسرائيل، حيث آمنَ به كثير منْهم، ما أدى إلى دخولهم في الإسلام بسرعة وسهولة عند بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

سادسًا: الأحاديث النبوية الشريفة التي بلغت حد التواتر المعنوي في ذكر نزول عيسى.

وجه استدلالهم:

قالوا: هذه الأحاديث لا تحتمل تأويلاً، ويجب أنْ نحملها على ظاهرها، وهي تتحدث عن عيسى ابن مريم ذاته، وليس عن شخصٍ شبيهٍ به.

مناقشة هذا الاستدلال:

لا بد من ذكر الحقائق التالية قبل الوصول إلى النتيجة التي لا نتيجة سواها ممكنة.

*لفظة (نزل) لها أكثر من معنى.

* لم يرد أي حديث، قط، يقول إنَّ نزول عيسى سيكون من السماء.

*ثبت يقينًا موت عيسى من خلال الأدلَّة القاطعة التي لا تحتمل أكثر من معنى.

* لم يرد أي دليل يقول إنَّ الله تعالى سيحيي عيسى ويبعثه من قبره إلى هذه الدنيا.

* لم يرد أي دليل على أنّ عيسى رفع بجسده إلى السماء.

---

[1] "قال ابن الأثير: الكهل من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين، وقيل هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين"ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار الفكر، ج11ص600

*يجوز أنْ نطلق اسم الشيء على ما يشابهه بأكثر خواصه وصفاته، بل إنَّه لتعبير بليغ يسمى التشبيه البليغ، حيث تُحذف أداة التشبيه ويُحذف وجه الشبه؛ كأن نسمي شخصًا كريمًا حاتم الطائي. وإذا تمّ حذف المشبَّه كان ذلك من باب الاستعارة.

وحيث إنَّ القرآن الكريم لا تعارض بين آياته مطلقًا، (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كثيرًا) (سورة النساء: 83)؛ فيجب أنْ لا تُحمل هذه الأحاديث على معانٍ تخالف الآيات القرآنية القطعية الثبوت والدلالة. وحيث إنَّ لفظة النزول لها أكثر من معنى، فيجب ألاّ نعتمد المعنى الذي يتعارض مع ما قررته الآيات القرآنية بشأن وفاة المسيح عيسى ابن مريم. كما أنَّ كلمة (نزل) تأتي بمعنى حل وجاء، نقول: نزلت ضيفًا على أخوالي. وتأتي بمعنى أوجد؛ قال تعالى (وَأَنزلَ لَكُمْ مِنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) (سورة الزمر: 7).

لذا لم يعد لدينا تفسير ممكن ليس يتعارض مع القرآن الكريم، غير أنْ نقول إنَّ المقصود بنزول المسيح هو مجيء شخص شبيه به من هذه الأمة المحمدية.

لقد انقسم قول العلماء المسلمين في مسألة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله وموته إلى أربعة أقوال:

القول الأول: إنَّ عيسى رُفع إلى السماء بجسده، لم يمت، بل قبضه الله وافيًا، وسينزل من السماء.

القول الثاني: إنَّ عيسى لم يُرفع إلى السماء بجسده، مات، لكن الله تعالى سيحييه[1] وسيبعثه ثانية إلى الناس كافة.

القول الثالث: إنَّ عيسى لم يُرفع إلى السماء بجسده، بل مات ولن ينزل، وأحاديث النزول ضعيفة تُرَدُّ متنًا لتعارضها مع القرآن الذي أكَّد موت عيسى.

القول الرابع: إنَّ عيسى لم يُرفع إلى السماء بجسده، مات، وسينزل شخص شبيه به.

وإليك الأقوال الأربعة مرتبة في جدول:

---

[1] إن الله تعالى قادر أن يحيي أي إنسان الآن، أو في أي وقت. لكن الله عز وجل شاء أن لا يحيي أحدا قبل يوم القيامة. فقال تعالى (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون). وجاء في الحديث الشريف عن جَابِرِ بْن عَبْدِ الله يَقُولُ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ الله يَا جَابِرُ أَلا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لأَبِيكَ قُلْتُ بَلَى قَالَ مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً قَالَ إنه سَبَقَ مِنِّي أَنهمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ قَالَ يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي فَأَنزلَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَةَ (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا..) (سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله).

رقم القول	الرفع	النزول	الموت	النتيجة
القول الأول	عيسى رُفع إلى السماء بجسده.	سينزل من السماء بجسده.	لم يمت، بل قبضه الله وافيًا.	مجيء عيسى نفسه قبل يوم القيامة.
القول الثاني	لم يرفع بجسده، بل رُفعت مكانته ودرجته.	الله تعالى قادر على إحيائه ثانية.	مات، لكن الله سيحييه.	مجيء عيسى نفسه قبل يوم القيامة.
القول الثالث	لم يرفع بجسده، بل رُفعت مكانته ودرجته.	أحاديث النزول لا تصح.	مات، ولن يبعثه الله قبل يوم القيامة.	لن يأتي أي مبعوث، لا المسيح ولا غيره.
القول الرابع	لم يرفع بجسده، بل رُفعت مكانته ودرجته.	النزول يعني المجيء.	مات، ولن يبعثه الله قبل يوم القيامة.	سيبعث الله تعالى شخصًا شبيهًا بالمسيح ابن مريم.

دعنا نناقش الأقوال الأربعة لنرى أيها يتفق مع النصوص كلها، وأيها يعارض بعض النصوص ويتفق مع بعضها، وأي قول عارض نصًّا يجدر رده.

أمّا القول الأول: فقد اعتبر الرفع رفعًا إلى السماء بالجسد، بيد أنَّ الجسد أو السماء لم يرد ذكرهما. ومع أنَّ هذا القول أخذ معنىً صحيحًا من معاني النزول، غير أنَّه قال بحياة عيسى في السماء منْ دون دليل.

أي أنَّ القول الأول:

-عارض النصوص القرآنية التي تقول بوفاة المسيح.

-أضاف لفظة (السماء) من دون أي دليل.

-أضاف لفظ (رفع الجسد) من دون أي دليل.

بمعنى أنَّ أصحاب القول الأول عارضوا النصوص التي تؤكد وفاة المسيح، وأضافوا أمرين لا دليل عليهما.

أمّا القول الثاني: فإنَّه أصاب في مسألة وفاة المسيح، بيد أنَّه أضاف قضية لا أساس لها ألبتة، ألا وهي إحياء المسيح، فهذا لم يرد في قرآن ولا سنة. كما أنَّ الله تعالى شاء أنْ لا يحيي أحدًا في هذه الدنيا قبل يوم القيامة.[1] وبالتالي لا يؤخذ عنه، علمًا أنَّ أصحاب هذا الرأي اضطروا إليه اضطرارًا؛ لما عجزوا أمام أدلَّة أصحاب القول الرابع.

[1] انظر الأدلَّة في الصفحات السابقة. ولا ينبغي أن يحتج أحد بالذي مر على قرية فوجدها خاوية على عروشها فأماته الله مائة عام ثم بعثه. ولا بإحياء عيسى عليه السلام للموتى، ولا بطير إبراهيم، ولا بغير ذلك من الآيات التي فُهمت خطأً. وسنذكر تفسيرها الذي لا يجعل آيات القرآن تتناقض في كتاب آخر بإذن الله تعالى؛ ويُنصح بمراجعة التفسير الكبير للإمام بشير الدين محمود أحمد للوقوف على هذه التفسيرات.

أما القول الثالث: فقد أصاب في مسألة وفاة المسيح، متبعًا فيها الأدلَّة القطعية، وفي تفسير الرفع أيضًا، بيد أنَّه عارض النصوص البيِّنة الواضحة التي تؤكد نزول المسيح، وضعَّفَ أحاديث ثبتت صحتها بطرق عديدة بلغت حد التواتر[1]، كما يقول كثير من العلماء، وقد تلقتها الأمة بالقبول عبر تاريخها؛ لذا لا ينبغي أنْ يؤبه لتضعيفهم هذه الأحاديث الصحيحة. ويبدو أنَّ الذي دعاهم إلى تضعيفها هو قوة حجة أصحاب القول الرابع.

أمّا أصحاب القول الرابع: فيؤاخذون، أول وهلة، على إضافتهم موضوع شبيه المسيح، في حين أنَّ الأحاديث لا تتطرق إلى الشبيه إطلاقًا، ولم يقل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلّم في أي حديث إنَّ شخصًا شبيهًا بعيسى سيأتي.

لكن أصحاب هذا القول يردون على هذه التهمة قائلين:

أولاً:إنَّ هذا الأسلوب مستعمل في اللغة، وهو جواز إطلاق اسم الشيء على ما يشابهه بأكثر خواصه وصفاته. ويمثلون هذا الحديث بأقوال عديدة منها: قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم لبعض أزواجه: (إنَّكن لأنتن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس)[2] .

فها هو رسولنا الكريم الذي أوتي جوامع الكلم يطلق على أزواجه (صواحب يوسف) لتشابههن بشيء واحد فقط، فكيف لو كان التشابه من أبواب عديدة؟

ثانيًا: يدعمون موقفهم بأحاديث تصف عيسى ابن مريم وصفًا مختلفًا عن المسيح المنتظر، ففي رحلة الإسراء رأى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلّم عيسى ابن مريم، فوصفه بأنَّه أحمر جعد، وهذا الحديث مروي في البخاري عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلّم رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّه مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ[3] . بينما وصف عيسى الذي رآه في المنام والذي سينزل فيما بعد بأنَّه آدم سبط الشعر، كما في الرواية التالية في صحيح البخاري عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ الله بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا ابْنُ

[1]روى أحاديث نزول المسيح عليه السلام كثير من الصحابة، منهم أنس بن مالك والنواس بن سمعان وجابر بن عبد الله وحذيفة بن أسيد وسمرة بن جندب وأبو أمامة الباهلي وعائشة وعثمان بن أبي العاص وأبو هريرة وابن عباس وابن مسعود وعمران ابن الحصين ومجمع بن جارية. فهؤلاء ثلاثة عشر صحابيًا وصلتنا رواياتهم في كتب الحديث التسعة الأكثر شهرة، ولا ننفي إمكانية أن يكون هناك رواة آخرون من الصحابة وردت روايات عنهم في غير هذه الكتب، ولو تتبعنا الرواة في الطبقات المختلفة لرأينا عددًا أكبر من ذلك بكثير، ما يعني تواتر أحاديث النزول.

[2] البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة.

[3]البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا.

مَرْيَمَ فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ به شَبهًا ابْنُ قَطَنٍ وَابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ[1]

ثالثًا: يستدلون بالحديث الذي يؤكد أنَّ عيسى هو المهدي، فقد ورد في سنن ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلا شِدَّةً وَلا الدُّنْيَا إِلا إِدْبَارًا وَلا النَّاسُ إِلا شُحًّا وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلا الْمَهْدِيُّ إِلا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ * [2]

فهذه ثلاثة أدلَّة تدعم موقف هذا القول الذي لم يناقض أي دليل، بينما ناقضت الأقوال الثلاثة الأولى أدلَّة عديدة.

وينبغي أنْ نعلم أنَّ أصحاب القول الأول لم يتفقوا مع القول الثاني إلا في النتيجة، واختلفوا في الرفع وفي النزول وفي الوفاة، كما اختلفوا كليًّا مع أصحاب القول الثالث، فلم يلتقوا في شيء، ولكنهم التقوا أصحابَ القول الرابع في إيمانهم بأحاديث النزول. أمّا القول الثاني فيلتقي القول الثالث في معنى الرفع وفي الوفاة، بيد أنَّه يخالفه في النزول، ويلتقي القول الرابع في الأمور ذاتها التي التقى فيها أصحاب القول الثالث. بينما يلتقي أصحاب القولين الثالث والرابع في الرفع والوفاة، ويختلفون في النزول وفي النتيجة.

لذا نستطيع أنْ نقول إنَّ أصحاب القول الرابع يلتقون الأقوال الأخرى أكثر مما تلتقي الأقوال الأخرى في ما بينها.

وبصيغة أخرى نقول:

إنَّ أصحاب القول الأول آمنوا بالنزول الذي ثبت بأحاديث متواترة، ولكنهم أنكروا وفاة المسيح التي ثبتت بآيات قرآنية قطعية الدلالة.

وأصحاب القول الثالث آمنوا بوفاة المسيح التي ثبتت بأدلَّة قرآنية قطعية الدلالة، بيد أنَّهم أنكروا النزول الثابت بأحاديث متواترة. أي أنَّ كل فريق آمن بنصف الحقيقة، لذا إنْ أخذنا القول الحق من عند كل فريق خرجنا بالقول الرابع، وهو قول الجماعة الإسلامية الأحمديَّة.

ومن العلماء الذين يمثلون القول الأول الغماري[3]، وممن يمثلون القول الثالث شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت.

---

[1] البخاري، كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام.

[2] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن. باب شدة الزمان.

مع أن بعض العلماء حاول تضعيف هذا الحديث، لكن يبدو أنَّ تضعيفهم ضعيف، فالراوي محمد بن خالد الجندي وثقه يحيى بن معين، مع أن بعض العلماء وصفه بالمجهول. لأن الموثِّق لديه علم زائد عن علم الذي يصف راويًا بأنه مجهول. لذا فالحديث صحيح السند. ومتنه لا علة فيه ولا شذوذ، فالحديث صحيح إذًا.

[3] انظر الغماري، أبو الفضل، عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام وإرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول، مكتبة القاهرة.

لذا لو أخذنا الجزء الصحيح من اعتقاد الغماري والجزء الصحيح من اعتقاد شلتوت لحصلنا على الاعتقاد الذي يقول به كل مسلم أحمدي في هذا الموضوع.

وهكذا ثبت، من خلال القرآن، ومن خلال السنة، ومن خلال أقوال العلماء، موت نبي الله عيسى الذي أرسله إلى بني إسرائيل، فقط. ولم يبق مع القائلين بحياته في السماء أي دليل سوى التقليد، الذي نهينا عنه كمسلمين.

وحيث إنَّ عيسى عليه السلام مات، وحيث إنَّ نزوله ثابت متواتر، ولَمّا كان إطلاق اسم الشيء على ما يشبهه في أكثر صفاته وخواصه جائز حسن، ولَمّا كان رسولنا الكريم قد قال: وَلا الْمَهْدِيُّ إلا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ[1]، وحيث إنَّ عيسى عليه السلام وُصِفَ في الأحاديث التي تنص نزولَه بأنَّه نبي الله[2]، قلنا جمعًا بين هذه النصوص جميعها: إنَّ المقصود بهذا هو بعثة ظلٍّ للرسول محمد المصطفى صلى الله عليه وسلّم يُسمى المهدي والمسيح. وهذا هو موضوع الفصل القادم.

على أنه يجدر التذكير بأن اعتقاد صعود شخص إلى السماء إنما هو خاص بالمحبطين والمنحرفين عن صراط الله المستقيم؛ فهناك بعض الشيعة الذين يعتقدون بصعود عليٍّ رضي الله عنه إلى السماء، وآخرون منهم يؤمنون بصعود غيره من الأئمة إلى السماء، وكثير منهم من يرى أن الإمام الثاني عشر فيهم قد غاب في سرداب، وهو إلى الآن خائف لا يظهر، واليهود يعتقدون بصعود إيليا إلى السماء، ولا ننسى اعتقاد النصارى بصعود المسيح نفسه. وهكذا لو رحْتَ تسأل أصحاب الأديان الأخرى لوجَدْت القضية نفسها. وهذا ما انتقده المسيحُ ابن مريم يوم بُعث إلى بني إسرائيل، وقالوا له: إن المسيح سينزلُ من السماء.

ثم ما هي السماء؟ أليس كل ما علاكَ فهو سماء؟

لاحظ كيف سمّى الشيخَ شلتوت مبتدعًا جهولاً؛ كونه ضعّف أحاديث نزول عيسى عليه السلام. ولم يقتصر في هجومه على الشيخ شلتوت، بل تعداه وانتقد الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا وعبد الوهاب النجار، وكلهم من القائلين بوفاة عيسى، محتجين بأن أحاديث النزول أحاديث آحاد لا يُحتج بها في العقائد.

ونحن ننتقد هؤلاء كما انتقدهم، وننتقده كما انتقدوه كونه قال بحياة عيسى بجسده في السماء رغم وضوح نصوص موته في القرآن الكريم. ونحن -بفضل الله ومَنِّه- نجمع بين النصوص كلها، ولا نجعلها تتضارب.

[1] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب شدة الزمان

[2] وُصِفَ عيسى عليه السلام في حديث طويل في صحيح مسلم بأنه نبي الله أربع مراتٍ: (...وَيُحْصَرُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأحَدِكُمْ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه إِلَى الأَرْضِ فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنهمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ لله عِيسَى وَأَصْحَابه إِلَى الله فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا ....)صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

ثم إن كـل الأنبيـاء ينزلـون مـن الـسماء.. أي يـأتون بعلـوم سماويـة لا أرضـية.. أي أن الله تعـالى يعلمهم من عنده، ولا يتعلمون من المشايخ الذين تكون أفكارهم بعيدة كليا عن جوهر الدين، ويبيحون كبريات الخطايا.

قضية النبُّـوَّة

إنَّ وحي التشريع انقطع بعد القرآن الكريم، فلن ينـزل من عند الله تعالى حكم جديد، فالشريعة الإسلامية آخر شريعة سماوية، وهي باقية إلى يوم القيامة، وصالحة لكل زمان ومكان وإنسان.

والأدلَّة على ذلك:

-قوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنه وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسرين) (سورة آل عمران: 86)

-قوله تعالى(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلامُ) (سورة آل عمران: 20).

-قوله تعالى (اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ) (سورة المائدة: 4)

وحيث إنَّ وحي التشريع قد انقطع، فإنَّ هذا يتضمن، بشكل قاطع، انقطاع النبوَّة التشريعية، أي أنَّه لن يأتي بعد محمد صلى الله عليه وسلّم أي نبي تشريعي أبدًا.

لذا ينبغي تصحيح اعتقاد أولئك الذين يظنون أنَّ عيسى عليه السلام سينسخ الجزية عندما ينـزل من السماء! إنَّ هذا الاعتقاد -عدا معارضته موت عيسى عليه السلام- يعارض أصلاً هامًّا من أصول العقيدة الإسلامية، ألا وهو انقطاع النبوَّة التشريعية، وانقطاع الوحي التشريعي، وانقطاع الأحكام التي كملت في الدين الإسلامي.[1]

وهذا ينقض ختم النبوَّة الذي أجمع عليه المسلمون عبر تاريخهم، فلم يشذّ أحد عن أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين، فهل يُعقل أنْ يأتي نبي مبعوث إلى بني إسرائيل خصوصًا ليلغي أحكامًا من أحكام شريعتنا الغراء؟!

كما أن النبوة المستقلة قد انقطعت.. أي النبوة التي يتلقاها النبي من الله تعالى من دون أن يكون تابعا وظلا لنبي آخر. والنبوات السابقة كلها كانت مستقلة.. أي أنها كلها قد انقطعت، بيد أن الله تعالى قد فتح بابا جديدا لهذه الأمة، هي النبوة الظلية.. والتي لا تُعدُّ نبوة جديدة، بل هي نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسها، وهي درجة روحانية عالية يُعطاها تلامذة الرسول صلى الله عليه وسلم لتدلّ على مقامه العظيم صلى الله عليه وسلم. يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد استخدم الله تعالى في وحيه كلمةَ النبوة والرسالة في حقي مئاتِ المرات، ولكن المراد منها تلك المكالمات والمخاطبات الإلهية الكثيرة والمشتملة على أنباء الغيب، لا أكثر من ذلك ولا أقل. لكل أن يختار في حديثه مصطلحًا، لقولهم: لكل أن يصطلح. فهذا مصطلَح إلهي حيث أطلق هو عز وجل كلمةَ النبوة على كثرة المكالمة والمخاطبة. أي تلك المكالمات التي تحتوي على أخبار غيبية كثيرة. واللعنة على من

---

[1]كما أن نسخ الجزية، الذي يعني عندهم تخيير الناس بين القتل واعتناق الإسلام، فيتضمن هدمًا للعدالة والأمانة والحرية، وينشئ جيلا كارهًا للعالم يرى قتل الآخرين غاية وأملاً.

يدعي النبوة متخلّيًا عن فيض النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن نبوتي هذه ليست بنبوة جديدة، بل هي نبوة النبي صلى الله عليه وسلم في الحقيقة، وتهدف إلى نفس الهدف وهو إظهار صدق الإسلام على الدنيا". (چشمه معرفت – ينبوع المعرفة – الخزائن الروحانية مجلد 23 ص 341)

أما وحي المبشرات فإنَّه باقٍ إلى يوم القيامة. والأدلة على عدم انقطاعه:

1–قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (سورة فصلت: 31)

هذا نص واضح في أنَّ الملائكة تتنزل على هؤلاء المستقيمين على قول ربنا الله، تبشرهم ألا يخافوا وتبشرهم بالجنة. وقد استعمل الفعل المضارع (تتنزل) الذي يدل على الحال والاستقبال.

2–إنَّ الوحي ليس مقصورًا على الأنبياء، ولا على الأنبياء المستقلين، فقد أوحى الله تعالى إلى أم موسى، وإلى الحواريين، وإلى مريم. قال تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (سورة القصص:8). وقال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) (سورة المائدة: 112). وقال تعالى (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لها بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا) (سورة مريم: 18–20).

الشاهد، هنا، أنَّه ما دام الوحي يتنزل على غير الأنبياء، وقد تنزل على نساء من بني إسرائيل وعلى رجال منهم، فمن باب أولى أنْ يتنزل على رجال خير أمَّة أخرجت للناس ونسائها.

3–ما رواه ابن ماجة عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ ذَهَبَتِ النبوَّة وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ[1]. هذا الحديث ينص انقطاعَ النبوّات السابقة.. أي النبوة المستقلة، وينص بقاءَ وحي المبشرات الذي لا تشريع فيه.

4–بناء على قاعدة الاستصحاب؛ وهي بقاء ما كان على ما كان ما لم يوجد دليل يغيّره؛ والمعنى أنَّ ما ثبت على حال في الزمن الماضي يبقى على حاله ولا يتغير إلا إذا جاء دليل يغيره.

وحيث إنَّ تَنَزُّل الوحي بنوعيه ثبت في الماضي، ونزل على الأنبياء وعلى غير الأنبياء، ولم يرد إلا أدلة تنفي تجدد الوحي التشريعي، ولم يرد أي دليل يفيد توقف وحي المبشرات، قلنا باستمراره.

آية خاتم النبيين:

هذه الآية الكريمة دليل هام وقاطع على عدم عودة المسيح عليه السلام، فكيف إذا أُضيف لها أدلة وفاته عليه السلام؟ فالقول بعودته يناقض هذه الآية العظيمة من كل جوانبها.

---

[1] سنن ابن ماجة، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ج1 ص1282.

إنّ معنى "خاتم النبيين" هو أكملهم وتتضمن أنه آخرهم أيضا.

إن الفكر التقليدي يرفض عمليا أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم آخر النبيين، بل يرى عيسى عليه السلام آخرهم، كما أنه يرفض عمليا أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أكمل النبيين، بل يرى عيسى أكملهم، لأنه الوحيد في السماء، والوحيد الذي يحيي ويخلق وغير ذلك من كمالاته وميزاته التي انفرد بها عندهم.

إن المعنى السياقي لآية "خاتم النبيين" يعني أنه أكملهم، فالآية تتحدث عن أنَّ نبي الله لم يكن أبًا لأحد، وهذا المعنى لو أُخِذَ على ظاهره لكان إساءة إليه، وتصديقًا لذلك الكافر الذي وصف رسول الله صلى الله عليه وسلّم بالأبتر. لكن الله تعالى سمى ذلك الكافر بالأبتر (إنَّ شانئك هو الأبتر) (سورة الكوثر: 4) مع أنَّ له بنين، وليس لرسولنا الكريم أي ولد ذكر. لذا يجب ألاّ يُفهمَ من هذه الآية أنَّها تصف رسولنا بأنَّه مقطوع النسل ليس له ولد. بيد أنَّ هذه هي الحقيقة من ناحية مادية جسمية، لذا توبع نص الآية مع (ولكن)، وهي حرف استدراك، يكون ما بعده من جنس ما قبله، لكنه بخلافه، كأن نقول: هذا ليس حصانًا، لكنه حمار، فكلاهما من جنس الحيوان. ولكننا لا نستطيع أنْ نقول: هذا ليس حصانًا، لكنه شاي، فالحصان والشاي لا يجمعهما شيء، وليسا من جنس واحد.

لنعد إلى تكملة الآية: (ولكن رسول الله) ولنقارن بين ما جاء قبل (لكن)، وما جاء بعدها:

قبلها: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم... بعدها: رسول الله وخاتَم النبيين.

قلنا: لا بد أنْ يكون ما قبلها من جنس ما بعدها، غير أنَّه يخالفه؛ لذا علينا أنْ نتساءل: ما العلاقة بين كون نبينا ليس أبًا لأحد، وكونه رسولَ الله، وخاتَم النبيين!

إنْ قلنا: إنَّ معنى خاتَم النبيين آخرُهم مبعثًا، فما هي العلاقة بين عدم كونه أبا أحدٍ من المسلمين وكونه آخر النبيين؟ إنَّه لا علاقة ألبتة. وهو كقولنا: أنا لا أحب القهوة ولكن أحب دراسة التاريخ، فهذا كلام لا يستقيم بحال، فكيف بكلام رب العالمين؟

لذا لا يمكن أنْ يكون المعنى اللغوي لخاتَم النبيين هو آخرهم مَبْعثًا من خلال هذه الآية. بل معناها أنه مع أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلّم ليس له ولد من ناحية جسمِّية مادية، لكنه والدكم جميعًا من ناحية روحانية، وليس هذا فحسب، بل هو أب روحاني للنبيين كونه طابعهم وأكملهم.

ويؤكد هذا المعنى التركيبي للعبارة، فكلمة خاتَم المضافة إلى الجمع على سبيل المدح لا تعني إلا الأفضل والأكمل فيما أُضيفت إليه، فالشاعر حين يقول:

فُجِعَ القريضُ بخاتم الشعراء وغديرِ روضتِه حبيبِ الطائي

إنما قصد أنه أعلى الشعراء مرتبةً، وأنه لم يأتِ ولن يأتي مثله.

فآية "خاتم النبيين" لا تتحدث عن انقطاع النبوَّة، لكنها تتضمن أنه صلى الله عليه وسلم آخر نبي، ولن يُبعث بعده أي نبي كما كان يُبعث السابقون.. لأن هذا ما يقتضيه كمال نبوته صلى الله عليه

وسلم. كما أنّ كمال نبوته صلى الله عليه وسلم يقتضي أن يبعث الله خداما له يكونون أظلالا له ويصِلون درجاتٍ روحانية عالية، لكنّ نبوتهم ظلٌّ وبروزٌ لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم خدّامه..

أوهام مكفِّرينا

نزول المسيح مرتبط ارتباطا وثيقا بختم النبوة، فعلى كل مسلم أن يرفض القول بعودة المسيح عليه السلام لأنه يتناقض مع آية خاتم النبيين، بيد أن مكفِّرينا يكفِّروننا على خطأ هم مَن يرتكبه لا نحن؛ فقد اعتادوا أن يستدلوا بآية خاتم النبيين على انقطاع النبوة، ثم يستدلوا بحديث "لا نبي بعدي" على نفس الموضوع. بيد أن هذا الاستدلال يُدينهم هُم وليس نحن، فهم الذين يؤمنون بنبي من خارج هذه الأمة وينسخ بعض أحكام شريعتها، لا نحن. إننا نحن مَن يقول بختم النبوة، فنرفض أن ينزل نبيٌّ من بني إسرائيل لهذه الأمة، ونرفض أن يأتي نبي بشريعة جديدة وينسخ الحرية الدينية والجزية.

هذه الآية الكريمة تُدين مكفِّرينا جدًّا، ولن يستطيعوا تفسيرها في سياقها، ولن يستطيعوا أن يوفقوا بينها وبين نزول المسيح، خصوصا إن ثبت لهم أنه قد مات، وقد ثبت.

تفسير النبوءات

عندما بُعث موسى عليه السلام إلى فرعون وبني إسرائيل كذَّبوه، مدعين أنَّه لا وجود لنبي جديد. ولكن بعد وفاته آمنوا به، ولا يزال قَدْره يُعظّم عندهم. وقد بشرهم ببعثة المسيح إليهم، وتحدث عنه في النبوءات بطريقة مجازية؛ شأن النبوءات المستقبلية. بيد أنَّ بني إسرائيل ظنوا أنَّها لا تنطبق على عيسى ابن مريم حين جاءهم رسولاً إليهم؛ فكذبوه، بل حاولوا قتله صلبًا. كما بشر موسى بمجيء نبي الله محمد صلى الله عليه وسلّم أيضاً، وعند مجيئه كذبه بنو إسرائيل، وما زال القسم الأعظم منهم يكَذِّبُه؛ مدعيًا أنَّ النبوءات لا تنطبق عليه.

ولكن إذا قرأ المسلم هذه النبوءات استغرب عنادَ بني إسرائيل في عدم الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلّم؛ ولنقرأ على سبيل المثال النبوءات التالية:

1-"جاء الرب من سيناء وأشرق من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم"[1].

لقد ظهر موسى عليه السلام في سيناء، وظهر عيسى عليه السلام في سعير ومِنطقتها. وعندما ظهر محمد صلى الله عليه وسلّم في جبال فاران، لم يصدقه اليهود. حيث تصوروا أنَّه سيكون يهوديًّا منهم، ومَنَعَهُم استكبارُهم وعنادُهم أنْ يتبعوا هذا النبي العربي الأمّيّ، ظنًّا منهم أنَّهم شعب الله المختار.

2-" أُقيمُ لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[2].

وقد حقق الله وعده، فأقام نبيًّا من وسط إخوة بني إسرائيل، أي بني إسماعيل، وهو محمد صلى الله عليه وسلّم، لكنهم استكبروا.

وهناك العديد من النبوءات التي تبشر بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

لكن ما السبب الرئيس وراء عدم الإيمان به؟

إنَّه التفسير الخاطئ للنبوءات، والإصرار عليه بسبب قساوة القلب والعناد والاستكبار.

ولماذا تأتي النبوءات بهذه الطريقة المجازية، فلا تكون واضحة تحدد الشخص باسمه واسم أبيه واسم قريته، وزمان بعثته، وصفاته الجسمية، وغير ذلك؟

إن النبوءات لا تتحقق بحرفيتها الواضحة الظاهرة؛ لأن النبوءات تتعلق بالغيب، والإيمان بالغيب جزء من الإيمان. كما أنَّ الإيمان الحقيقي يعتمد على التفكر والتدبر. أمَّا قبول الحقائق الواضحة التي لا

[1] الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثون، ص334

[2] الكتاب المقدس، سفر التثنية، الإصحاح الثامن عشر، ص308

تتطلب الفكر والتأمل لا تسمى إيمانًا؛ فلا نقول: إننا نؤمن بأنَّ الشمس تشرق من المشرق وتغرب في المغرب. ثم إنَّ من يَكْفر بهذه الحقيقة لا يسمى كافرًا؛ لأنَّه لم يكفر بقضية إيمانية؛ إنما يسمى صغير العقل، أو مجنونًا. فالحقائق الواضحة لا يثاب المرء أو يعاقب على الإيمان أو عدم الإيمان بها. أمَّا القضايا الإيمانية التي تتطلب الفكر والتدبر فهي التي يثاب المرء على قبولها، ويعاقب على إنكارها.

وعلى هذا، فلو تحققت النبوءات جميعها التي تتعلق بمجيء نبي من الأنبياء بحرفيتها، لفقدت – من فورها– خصوصيتها الإيمانية، ولأصبحت حقائق يصدقها الجميع؛ الصالح منهم والطالح، وبهذا لا تكون غيبًا. وحيث إنَّ النبوءات المتعلقة بالأنبياء غيب، فلن تتحقق بحرفيتها غالبا. وهذا ما حصل مع موسى تمامًا ، ثم مع عيسى عليهما السلام، ثم مع محمد صلى الله عليه وسلّم، وتكرر مع المهدي عليه السلام.

إن الخطأ في تفسير النبوءات المستقبلية أمر وارد لا غبار عليه، وقد يقع فيه الأتقياء الصالحون. لكن التقي الصالح يتراجع عن خطئه حين يظهر له ذلك بالدليل.

والسؤال المطروح هنا: ما قيمة هذه النبوءات إذا كانت ستبعد كثيرًا من الناس عن النبي الذي بعثه الله تعالى ؟

الجواب: يجب أنْ يؤمن الناس بالنبوءات التي أخبر عنها النبي السابق من دون الدخول في تفصيلها، وتفسيرها؛ فيجب الإيمان بها كما وردت، وعند تحققها نعرف ما هو تفسيرها.

من هنا كان خطأ المسلك الذي يقوم برسم صورة معينة لكيفية تحقق تلك الأنباء الغيبية، وتطبيق هذه الصورة المتخيلة على كل من يدعي أنَّه المبعوث المنتظر. هكذا فعل اليهود، وهكذا يفعل بعض المسلمين اليوم.

معايير صدق الأنبياء

إذا كانت النبوءات لا تكفي، أو قد تبعد الإنسان عن الإيمان، فكيف السبيل لمعرفة النبي الصادق من المتنبئ الكذاب؟

بداية، لا بد من التأكيد أنَّه لو بذل الناس جهدهم وابتعدوا عن طريق العناد والغرور والاستكبار، لفهموا النبوءات المتعلقة بنبيّ زمانهم، ولكانت قد كفتهم. لكن الله تعالى –إتمامًا للحجة– قد هيأ العديد من معايير صدق الأنبياء. فهناك الكثير من المعايير الثابتة والعامة، التي لا تتعلق بشخص معين، ولا تتوقف على تحقق نبأ بتفسير معين، أو بآخر اجتهادي قابل للصحة والخطأ.

المعيار الأول: صفات النبي قبل بعثته

كان الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى كلهم صادقين خلال حياتهم، ذوي سيرة طاهرة. وهو أمر لا بد منه، فمن اعتاد الكذب على الناس لا يتورع عن الكذب على الله تعالى. أمّا من لم يكذب في صغائر الأمور، وكان صادقًا في شؤون حياته كلها، لا يعقل أنْ يقرر فجأة أنْ يكذب على الله.

وبهذا احتج محمد صلى الله عليه وسلّم لإثبات صدقه، فحاجَّ قومَه من خلال ذلك، فقد روى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنهمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لهبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لهبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلهذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لهبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنه مَاله وَمَا كَسَبَ)[1]

لكنهم لم يقنعوا بهذا الاستدلال، واعتبروه حجة داحضة واهية.

إن هذا الاستدلال كافٍ بحد ذاته. ومن سمع النبي في ذلك اليوم ممن يعرفه، وكذَّبه في دعواه، ومات على ذلك، ولو بعد لحظة من سماعه، فقد مات كافرًا. فلا يجوز له أنْ يتمهل؛ إنْ تمهل حتى مات، فيكون قد مات كافرًا. وليس ثمة داعٍ للتمهل، فما دام هذا الشخص، الذي قال: إني رسول الله إليكم، صادقًا، فيجب ألاّ يُكَذَّب[2].

---

[1] صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن

[2] لقد ناظرت في هذه المسألة كثيرًا من الناس. وكنت أسأل الخصم: ما حكم من سمع ما قاله نبينا الكريم في ذلك اليوم، فمات بعد دقائق من سماعه، من دون أن يؤمن؟ فإذا كانت الإجابة بأنه مات كافرا، فهذا يعني أن هذا الاستدلال كافٍ لإثبات صدق النبي. وإن كانت: إنه معذور، فهذا يعني أن ما احتج به نبينا على صدقه ليس صحيحًا، والعياذ بالله.

وأجاب آخرون بأن حجة النبي صلى الله عليه وسلّم هذه توجب عليهم أن يتساءلوا عن صدقه، وأن يبحثوا عن معجزته، ولا توجب عليهم الإيمان مباشرة.

فأجبت هؤلاء: إذا رفض إنسان أن يتساءل، أو أن يبحث عن معجزة هذا النبي فهل يكفر؟ إذا اعتبرناه كافرًا، فهذا يفيد النتيجة الأولى، وهي أن هذه الحجة كافية، ثم إنه يعني أنّنا كفرنا من دون دليل واضح، ألا وهو عدم تساؤل المرء، وعدم بحثه، وهذا لا يعتبر دليلاً على الكفر.

وإذا لم نعتبره كافرًا، لا يُكَفَّرُ أحد من الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلّم ، لأنه يمكن اعتبارهم في طور البحث عن معجزته عليه الصلاة والسلام، وعن مدى صحتها. وهذا لا يقول به مسلم.

وأجاب غيرهم: بأن حجة النبي هذه توجب عليهم أن يستمعوا القرآن الذي كان يريد أن يتلوه عليهم، ليتبيَّن لهم صدقه من خلال هذا القرآن المعجز.

فقلت: إذا رفض أحد أن يستمع فهل يكفر؟

ونكرر: فإذا اعتبرناه كافرًا، فقد كفَّرنا من دون دليل بيِّن، وهو عدم سماع شخص لشخص، عدا أن الخصم قال بقولنا في النتيجة. وإذا لم نكَفِّره فهذا يؤدي إلى عدم تكفير أحد. ثم إنه لم يكن قد نزل من القرآن في ذلك اليوم إلا آيات قليلة، فمن الطبيعي أن تكون حجة

لقد أكد الله هذه الحقيقة في إثبات صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم فقال تعالى (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْله أفَلا تَعْقِلون)[1].

يأمر الله تعالى نبيه-في هذه الآية-بأنْ يقول للكافرين المعاندين: قبل أنْ يبعثني الله تعالى، وقبل أنْ ينزل القرآن، كنت موجودًا بين ظهرانَيْكم مدة طويلة، وكلكم شاهد على طهر سيرتي وصدقي، فهل يمكن أنْ يخطر ببالي أنْ أفتري على الله الكذب؟ (أفلا تعقلون)؟ ألا تُعملون عقولكم لتهديكم إلى الحق؟![2]

صدق نبينا أقوى من معجزة هذه الآيات القليلة التي لن يتذوقها الناس كلهم، والتي يمكن لهم أن يشككوا في مصدرها، كما حصل.(وهذا لا يعني أنهم معذورون بهذا).

وقد أصرَّ بعضهم على المماحكة قائلاً: إن القرآن هو الدليل الوحيد على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم في بداية الدعوة. قلنا له: ما هي معجزة الأنبياء من قبله؟ هل نزل عليهم قرآن؟

لا شك أنَّ كثيرًا من الأنبياء لم يُنَزَّل عليهم أي كتاب، وبالنسبة إلى الذي نزل عليه كتاب، فقد كان يتنزل بعد مدّة طويلة، كما حصل مع موسى عليه السلام حيث واعده الله تعالى ثلاثين ليلة، وأتمَّها بعشر، وهناك أنزل الله التوراة. فهذا يؤكد أنَّ العلامة الأولى والكافية على صدق أي نبي هي صدقه وأمانته واستقامته خلال حياته قبل ادعاء النبوة.

ثم سألناهم: أكان أبو بكر مصيبًا أم مخطئًا، حين آمن بنبي الله محمد صلى الله عليه وسلّم بعد أن أخبره بأن الله أوحى إليه، وأنه نبي الله؟

مع أن الإجابة واضحة جدُّ واضحة، رأينا البعض يقول: إيمان أبي بكر غير مطلوبٍ من الناس كلهم، ولا إيمان خديجة، ولا إيمان علي وزيد.

فقلت لقائل ذلك: إذاً أنت تعذر من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلّم في أول البعثة، ومن قال له: تبًّا لك؟ فسكت.

وقد أنكر البعض هذا القول معتبرًا إياه دعوة لتصديق كل من يدعي النبوة.

قلت: هذا ليس صحيحًا، ويُرَدُّ عليه بأوجه خمسة: أولها: إنه لا يُعقل أن يصدق إنسانٌ إنسانًا كاذبًا، إلا لمصلحة دنيوية، وهذا يُعاقب عند الله تعالى، لأنه يسعى لتضليل الناس، مقدمًا مصلحته الدنيوية على مرضاة الله تعالى. ثانيها: لا ضرر من تصديق المتنبئ الكاذب طالما أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قد توعد بالقضاء عليه وعلى دعوته. ثالثها: إنَّ عاقلاً مخلصًا لن يُصدق هذا المفتري، فلماذا الخوف؟ رابعها: لقد ذكر لنا القرآن الكريم قصة مؤمن آل فرعون، الذي دعا قومه إلى تصديق موسى معتبرًا أنْ لا خسارة في اتباعه، إنما الخسارة في تكذيبه، (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانه أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذبًا فَعَلَيْهِ كَذِبه وَإِنْ يَكُ صادقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)(غافر: 29) والمعنى: أنه إذا كان كاذبًا وصدقتموه فهو الخاسر، وعليه وحده كذبه، أمّا أنتم فلا يضركم كذبه شيئا. بينما إذا كان صادقًا وكذبتموه فالويل لكم. فالآية دليل على عدم وجود عقوبة لمن خُدع وصدق كاذبًا. لأنه لا ضرر من المفتري على الله تعالى بعد أن توعَّد الله بالقضاء عليه، وعلى دعوته. خامسها: لم أدعُ إلى تصديق كل من يدّعي النبوة، بل أدعو إلى تصديق من عُرفَ بالصدق والأمانة طَوال حياته، حيث لا يُعقل أن يقرر هذا فجأة أن يكذب على الله.

[1] يونس: 17

[2] الأشقر، الرسل والرسالات، ص197. لاحظ كيف استدل الدكتور الأشقر بأحوال الأنبياء وصفاتهم على صدقهم معتبرًا ذلك دليلاً واضحًا، هو الذي أدى بأبي بكر وخديجة إلى الإيمان، بل هو الذي جعل هرقل يوقن أنّ محمدًا صلى الله عليه وسلّممرسل من ربه، ولكنه لم يؤمن ضنًا بملكه.

وجاء في الآية التالية (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ)[1]

فلو كنت افتريت على الله الكذب لكنت مجرمًا[2]، أمّا إنْ كنت صادقًا، وأنتم مَنْ كذَّب بآيات الله، فأنتم المجرمون. وحيث إنَّه لا يمكن أنْ أكون كاذبًا إذ لبثت فيكم عمرًا طويلا ولم يصدر عني كذب أو منكر، فأنتم المجرمون بتكذيب آيات الله ونبيه.

استدلالنا على صدق المهدي عليه السلام من خلال هذا المعيار

هل كان إمامنا المهدي **عليه السلام** صادقًا طَوال حياته، وقبل أنْ يبعثه الله نبيًّا تابعًا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين؟

لقد ثبت أنَّه كان صادقًا، معروفًا بالتقوى والورع والأمانة طَوال حياته، ومما يؤكد ذلك ما يلي:

1-شهادة خصومه، وهم كثر: نكتفي هنا بأهم شهادة، وقد جاءت من قبل أشدِّ خصومه[3]، حيث قال يصف الإمام المهدي عليه السلام قبل أنْ يبعثه الله تعالى مهديًّا لهذه الأمة: "وإن مؤلف كتاب البراهين الأحمديَّة عديم المثال، إذ قَلَّ أنْ أتى الزمان بمثله في الثبات الغريب للخدمة الإسلامية، ونصرة الدين الحق بالنفس والنفيس والقلم واللسان والحال والقال.. إنَّ مؤلف البراهين الأحمديَّة في تجارب أعدائه واختبارات أصدقائه-والله حسيبه- لقائم بالشريعة الإسلامية، وتقي، وورع وصدوق"[4]

2-عدم اتهامه من قبل خصومه بالكذب، في الوقت الذي كانوا يبحثون فيه عن تأويلات محتملة لكلامه ليكفروه من خلالها، ولو وجدوا عليه كذبًا خلال لحظة من عمره لطاروا به كل مطار. لقد قرأت الكثير من كتب خصوم الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، فلم أرَ أحدًا منهم متهمًا مؤسسها الإمام المهدي عليه السلام بالكذب، في حين أنَّهم اتهموه باتهامات عديدة مختلقة، وصلت حد العمالة

---

[1] يونس:18

[2] إذا كان مدعي النبوّة كاذبًا فإنه مجرم، أمّا من خُدع به فتبعه وآمن به فلا تتطرق إليه الآية، مع أن الآية تتحدث في هذا الموضوع، ما يؤكد أنْ لا عقوبة لمن يصدق كاذبًا. ثم تابعت الآية واصفة من يكذب الصادق بأنه مجرم.

إن الآيات القرآنية التي تُجرّم المكذبين كثيرة، بيد أنه لا توجد آية واحدة تُجرّم من يصدق كاذبًا. وأقصى ما يمكن أن يُتهم به مصدق المفتري على الله الكذب هو السذاجة، ولا عقوبة للسذاجة عند الله تعالى. على أنه جدير بأن نعلم هنا أن الغالبية العظمى من الناس لا تصدق النبي الصادق، فهل يُعقل أن يصدق أحد نبيًّا كاذبًا؟! لا نتصور ذلك، وإن حصل فهو أمر موقّت سرعان ما ينتهي إما بقتل هذا المدعي أو بظهور دجله. أمّا ما يقال بأن مسيلمة الكذاب قد آمن به كثير من الناس، فهو كلام لا يصح بحال، بل كان أتباع مسيلمة من قومه فقط، ولم يتبعوه إلا ليخلصهم من حكم قريش، فاتباعهم إياه كان اتباعًا قبليًّا، وليس دينيًّا. وقد اتبعه قومه دون غيرهم من الأقوام.

[3] هو محمد حسين بطالوي

[4] القول الصريح، ص145 نقلاً عن مجلة إشاعة السنة، المجلد السادس.

للمستعمر، وحد ادعاء النبوَّة التشريعية، وحد ادعاء الألوهية. فالسكوتُ في معرض الحاجة إلى بيانٍ بيانٌ[1].

3-تحديه إياهم: لقد تحدى إمامنا المهدي مكذبيه، بأنَّه لا يمكنهم أنْ يتهموه بكذب. حيث قال:"إنَّكم لعمري لا يمكنكم أنْ تتهموني بكذب أو افتراء، أو خداع في أوائل حياتي بينكم، فتحسبون أنَّه من كان هذا شأنه من عادة الكذب والافتراء لا يبعد أنْ يكون قد اختلق هذا الأمر من عنده. ألا فهل منكم من أحد ينتقد شيئًا من شؤون حياتي ؟ وما ذلك إلا فضل منه أنَّه أقامني على التقوى منذ نعومة أظفاري! وإن في ذلك لآية للمتفكرين"[2].

4-شهادة أتباعه الذين بلغوا الألوف في مراحل الدعوة الأولى، ثم بلغوا مئات الألوف في أواخر حياته، ثم بلغوا الملايين بعد وفاته، وقد وصل تَعدادهم اليوم إلى عشرات الملايين، كلهم يقول إنَّ مرزا غلام أحمد هو المهدي والمسيح الموعود عليه السلام[3]، بعثه الله تعالى ليجدد الدين الإسلامي، ويجمع المسلمين على شريعة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلَّم. وليس لهؤلاء الأتباع أي مأرب دنيوي، كما هو معروف وواضح ومشاهَد بشكل قاطع. أمّا ما تُتهم به الجماعة من اتهامات، فهو مجرد اتهامات لا دليل عليها، وما أسهل الافتراء عند كثير من الناس! ثم إنَّ الاتهامات متبادلة بين الحركات الإسلامية والقومية والعلمانية جميعها.

المعيار الثاني: فلاح دعوة النبي وعدم قتله

لقد ذكر القرآن الكريم أنَّ المفتري على الله الكذب لا يفلح، والفلاح هنا يشمل فلاح الدنيا والآخرة، وليس بمقصورٍ على الدنيا. قال تعالى (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ)[4]

كما حجَّ الله تعالى الكفارَ على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم من خلال عدم قتله، حيث إنَّ هذه هي سنة الله في الذين يفترون عليه الكذب. قال تعالى (إنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأخَذْنَا مِنه بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنه الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنه حَاجِزِينَ)[5]

---

[1]هذه قاعدة شرعية. معناها إذا كان هناك حاجة إلى أن يتكلم شخص في مسألة، وسكت، فهذا يعني أن سكوته مُعَبِّر.

[2]الإمام المهدي، تذكرة الشهادتين، ص62

[3]لا يوجد أحد ممن افترى على الله الكذب له أتباع يقولون عليه السلام. إن كل من ادعى النبوّة كذبًا خزاه الله تعالى، ولم يفلح.

[4]يونس: 70

[5]الحاقة: 41-48

معنى الآيات: أنَّ هذه الآيات التي تسمعونها ليست من تأليف الشعراء، ولا هي من تأليف الكهان؛ حيث إنَّ النبي محمدًا صلى الله عليه وسلَّم لو كان قد جاء بها من عند شاعر أو من عند كاهن، ثم نسبها إلى الله تعالى متقوِّلا عليه لقُتل شرَّ قِتلة، من دون أنْ يتمكن أحد من الدفاع عنه. وحيث إنَّ شيئًا من هذا لم يحصل، فهو الدليل الواضح البيِّن على صدقه .

وقد حاججت كثيرًا من المنكرين مستدلاًّ بهذه الآية، وذكرت أنَّ إمامنا المهدي عليه السلام قد استمر يعلن أنَّه يوحى إليه من لدنه تعالى أكثر من ثلاثين سنة، وكانت نهايته ميتةً عاديةً على فراشه من دون قتل.

فقال بعضهم: إنَّ الآية خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلَّم.

فأجبت قائلاً: لو كانت خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلَّم لما كان لها معنى في محاجة الكفار. والذي يقرأ الآيات يلاحظ موقع هذه الآية، حيث جاءت بعد نفي أنْ يكون هذا القرآن نقلا عن أحد الشعراء أو أحد الكهان. ثم بينت سبب عدم إمكانية هذا الاحتمال، وهو قطع وتين من يتقول على الله تعالى، كناية عن قتله، كما جاء في كتب التفاسير. ولو فرضنا أنَّها خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلَّم لكانت الآيات تخبر عن أنَّ القرآن ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن، ثم لا تأتي بأي دليل على ذلك.

وقال آخرون: إنَّ الآية عامة بحق الأنبياء الذين بعثهم الله، بيد أنَّها لا تشمل الناس كلهم. بمعنى أنَّها خاصة بمن يرسله الله نبيًّا، فذاك فقط –على حد فهمهم– يُقتل شر قِتلة، ولا يمكن أنْ يبقى حيًّا يفتن الناس.

قلت: هذا الكلام منقوض من بابين هما:

- أنَّه تخصيص من غير دليل.

- لا يمكن أنْ يبعث الله نبيًّا ثم يفتري هذا النبي على الله الكذب. فالنبي شخص عظيم القدر عند الله تعالى، اختاره الله نبيًّا لتقواه وصفاء سيرته. إنَّه أفضل الناس في قومه من دون أدنى منافسة. هو شخص معصوم من الأخطاء قبل بعثته وبعدها. فهل يخطر بباله أنْ يفتري على الله؟

- لم يحدث أن آمن بعضُ الناس بالرسول صلى الله عليه وسلَّم ثم اتَّهموه بأنه بدأ يفتري على الله الكذب، فلو كان ذلك كذلك، لكان لهذا التفسير وجه.

ابن أبي العزِّ الحنفيّ يحتج بهذه الآية في شرح العقيدة الطحاوية

لقد بين ابن أبي العز أنَّ المعجزات ليست هي الدليل الوحيد على صدق الأنبياء، وتحدث عن هذا المعيار قائلاً: "بل إنكار رسالته صلى الله عليه وسلَّم طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبة له إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، بل جحد للرب بالكلية وإنكار"[1].

ثم علل قوله، فتابع يقول:"وبيان ذلك: أنَّه إذا كان محمد صلى الله عليه وسلَّم عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أنْ يفتري على الله ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى تفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثًا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ويعلي أمره، ويُمَكِّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر. وأبلغ من ذلك أنَّه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره. هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنَّه لا أظلم مِمَّن كَذَبَ على الله وأبطل شرائع أنبيائه وبَدَّلها وقتل أولياءه، واستمرت نصرته عليهم دائمًا، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين ولا يقطع منه الوتين . فيلزمهم أنْ يقولوا: لا صانع للعالم ولا مدبر ولو كان له مدبر قدير حليم لأخذ على يديه ولقابله أعظم مقابلة وجعله نكالاً للصالحين. إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟ ولا ريب أنَّ الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته والشهادة له بالنبوَّة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد. ونحن لا ننكر أنَّ كثيرًا من الكذابين قائم في الوجود وظهرت له شوكة ولكن لم يتم أمره ولم تطل مدته بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم وقطعوا دابره واستأصلوه. هذه سنة الله التي قد خلت من قبل حتى إنَّ الكفار يعلمون ذلك. قال تعالى(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ به رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)[2]. أفلا تراه يخبر أنَّ كماله وحكمته وقدرته تأبى أنْ يقر من تقول عليه بعض الأقاويل. لا بد أنْ يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته في المتقولين عليه . وقال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ الله يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ)[3]. وهنا انتهى جواب الشرط ثم أخبر خبرًا جازمًا غير معلق: أنَّه يمحق الباطل ويحق الحق. وقال تعالى:(وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ الله عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)[4] فأخبر سبحانه أنَّ من نفى عنه الإرسال والكلام لم يقدره حق قدره).[5]

---

[1] ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص94

[2] الطور: 31-32

[3] الشورى: 25

[4] الأنعام: 92

[5] المرجع السابق، ص94-95

وليس الاحتجاج بهذا مقصورًا على ابن أبي العز، بل إنَّ المسلمين عبر تاريخهم يحاجّون اليهود والنصارى بهذا، مبيِّنين لهم هذا الدليل القاطع على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم. وقد وفق شارح العقيدة الطحاوية حين بيَّن أنَّ إنكار صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم يتضمن إنكار وجود الله تعالى.

وممن استدل بهذه الآية على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم الدكتور عمر الأشقر، حيث قال: "ومما يدل على صدق الأنبياء والمرسلين نصرة الله لهم وحفظه إياهم، فإنَّه يستحيل على الله تعالى أنْ يتقول عليه متقول، فيدعي أنَّه مرسل من عند الله، وهو كاذب في دعواه، ثم بعد ذلك يؤيده الله وينصره"[1]

ويتابع قائلاً:" ولو فعل هذا ملك من ملوك الأرض، فادعى مُدعٍ أنَّه مرسل من قبله كذبًا وزورًا، وعلم بذلك الملك المفترَى عليه، فإنَّه سيلاحقه، وإذا ظفر به فسيوقع به أشد العذاب، فكيف يليق بخالق الكون العليم الحكيم أنْ يرى ويسمع رجلا يكذب عليه ويزعم أنَّه رسوله...؟ هذا لا يكون أبدًا".

ويضيف قائلا:"وإن وقع مثل هذا من كاذب مارق وظهر أمره، وقويت شوكته يوما، فلن يطول ذلك، ولا بد أنْ يكشف الله أمره، ويهتك ستره، ويسلط عليه من يقهره، ويجعله عبرة لغيره، كما فعل الله بمسيلمة وسجاح وأسود العنسي من قبل."

ثم أورد الدكتور الأشقر الأدلة على هذا فقال:"وقد أشار الله تعالى إلى هذا النوع من الاستدلال فقال تعالى (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى الله الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ)[2]فحكم عليهم بعدم الفلاح. وقال تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأخَذْنَا مِنه بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنه الْوَتِينَ).

"وهذا الدليل ذو تأثير كبير في نفوس الناس، فإنَّ العرب لما رأت انتصار الإسلام صدقت وآمنت ودخلت في دين الله أفواجا(إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ الله أَفْوَاجًا)[3].

ثم ذكر شبهة متعلقة بهذا الموضوع قائلا:"وما يذكره بعض المكذبين برسالة محمد صلى الله عليه وسلَّم من أنَّ النصر تم لفرعون ونمرود وجنكيزخان وغيرهم من الملوك الكفرة في القديم والحديث، جوابه ظاهر، فإنَّ هؤلاء لم يدَّعِ أحد منهم النبوَّة، وأنَّ الله أمره أنْ يدعو إلى عبادته وطاعته، ومن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار. بخلاف من ادعى أنَّ الله أرسله، ثم يؤيده الله وينصره، وينصر أتباعه،

---

[1] الأشقر، الرسل والرسالات، ص204

[2] يونس: 70

[3] النصر: 2-3

ويجعل العاقبة لهم فإنَّه لا يكون إلا رسولاً صادقًا، فلو كان كاذبًا فلا بد أنْ ينتقم الله منه، ويقطع دابره، واعتبر في هذا بحال مسيلمة والأسود العنسي وسجاح"[1].

ونحن نسأل كل من لم يؤمن بالمهدي عليه السلام: ماذا ستقول لله تعالى يوم القيامة؟ ألم يكن هذا الدليل كافيًا؟ ألم يستمر إمامنا المهدي يعلن أنَّ الوحي يتنزل عليه عشرات السنين، ولم يقتل، وكان يؤكد أنَّه لن يقتل من خلال وعد الله إياه بذلك. أم أنَّ الله يخلف وعده؟ حاشا لله.

وحيث إنَّ الناس جميعًا مطالبون بالإيمان بأنبيائهم، فلو استطاع المتنبئ الكاذب أن يفتن بعض المخلصين، واختلط الصادق بالكاذب، ولم يعد هناك طريقة واضحة للتفريق، لكان هذا تكليفًا بما لا يُستطاع، والله تعالى قال (لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلا وُسْعَهَا)[2]. وهناك من الناس البسطاء من ليست لديه قدرة على التفريق بين الصادق والكاذب، ويمكن أنْ يُخدعوا بسهولة. فهل يمكن أنْ يطالب الله تعالى هؤلاء بالإيمان بالأنبياء الصادقين وبالكفر بالمتنبئين الكذبة في الوقت ذاته، من دون أنْ يمنح هؤلاء قدرة على التمييز بوضوح؟! حاشا لله. إنَّ الله تعالى لا يريد أنْ يُلبِّس على الناس، بل إنَّه عزّ وجلّ يريد أنْ يبين لنا ويهدينا سبل الذين من قبلنا ويتوب علينا.

وقد عبّر عن هذه الحقيقة ابن أبي العز الحنفي فقال:"النبوَّة لا يدّعيها إلا أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين. بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما. والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوَّة، فكيف بدعوى النبوَّة؟.. وما من أحد ادعى النبوَّة من الكاذبين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز. فإنَّ الرسول لا بدَّ أنْ يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أنْ يفعل أمورًا يبين بها صدقه. والكاذب يظهر في نفسه ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة. والصادق ضده.[3]

من هنا نقول: إنَّ المتنبئ الكذّاب لا بدّ أنْ يكون من أكذب الكاذبين حتى يتجرّأ ويفتريَ على الله الكذب، وهكذا لا يخدع أحدًا. ولو فرضنا أنَّه استطاع أنْ يخدع أحدًا، فإنَّ الله تعالى سيقتله شر قِتلة، وينهي دعوته. لذا، لا مجال لاختلاط الصادق بالكاذب ألبتة. ومن هنا، لم يحذرنا الله تعالى من اتباع المتنبئين الكذبة فهو أمر غير حاصل، لا مبرر له. ونجزم فنقول: إنَّه لم يُصدَّقْ متنبئ كاذب عبر التاريخ. ولن يصدَّق أبدًا، ولم تنجح ولن تنجح دعوة مفترٍ أبدًا؛ فقلّما يؤمن الناس بأنبياء الله الصادقين الأتقياء الأنقياء ، فكم بالحريِّ بدجّالٍ كذّاب؟!

---

[1] المرجع السابق

[2] البقرة:287

[3] المرجع السابق، ص88

غير أنّ الإيمان صعب على النفس البشرية، فهو يتطلب طاعة واتباعًا، ما يعني تنازلاً عن الكبرياء والغرور، كما أنَّه يؤدي إلى استهزاء الآخرين وسخرهم، وهي حال لا يحتملها كثير من الناس.

لذا أكَّد الله عز وجل في القرآن الكريم أهمية الإيمان بأنبياء الله، وبيّن أنَّ هناك عقابًا أليمًا للكافر بنبيّ واحد، بينما لم يذكر نصًّا واحدًا يوجب تكذيب المفتري. فتفكَّروا يا أولي الألباب.

إن معيار الفلاح قد تحقق في دعوة إمامنا المهدي عليه السلام؛ فها هي جماعته في بقاع الأرض كلها، وها هم المؤمنون به تجاوزوا عشرات الملايين إلى مئات الملايين، وها هي محطة بثٍّ فضائية تنشر الإسلامَ الصحيح الذي بعثه الإمامُ المهدي عليه السلام من سباته، وأعاده كما جاء به خيرُ الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلَّم، وها هي إنجازاتهم الفكرية لا تسهل الإحاطة بها. نعم، ها هم مئات الملايين يذكرون هذا الإمام ويصفونه بقولهم: سيدنا أحمد عليه السلام، فهل هذا وصفٌ أُطلق على مفترٍ في التاريخ أيها العقلاء؟

المعيار الثالث: الآيات والمعجزات

إن الله تعالى يؤيد نبيَّه بالآيات والمعجزات حتى يتبين صدقه، بعد أنْ يرفض كثير من الناس أنْ يصدقوه من خلال سيرته الطاهرة الشريفة، ومن خلال صدقه وأمانته طَوال حياته.

والأصل أنْ يؤمن الناس بأنبيائهم من دون أنْ يرَوْا المعجزات، بل عليهم الاكتفاء بما عرفوه من صدقهم وأمانتهم قبل ادعاء النبوَّة، ولكن كثيرًا من الناس لا يؤمنون، فيؤيد الله تعالى نبيه بآية تبين صدقه من خلال أوجه أخر.

ويجدر هنا أنْ نعلم أنَّ كلمة (معجزة) لم ترد في القرآن أو في السنة. إنما وردت كلمة (آية) وكلمة (برهان)، وهما بمعنى المعجزة. فالمعجزة: "هي كل أمر خارق للعادة يظهر على يد مدعي النبوَّة عند تحدي المنكرين له، على وجه يبين صدق دعواه"[1]

فالقرآن الكريم هو المعجزة العظمى، حيث جاء خارقًا للعادة والمألوف من قول البشر، بمعنى أنَّ أحدًا لا يستطيع أنْ يأتي بمثله، وقد أظهره الله على يد محمد صلى الله عليه وسلَّم بعد أنْ أعلن أنَّه مرسل من لدنه تعالى، متحدِّيًا الكفار بأنْ يأتوا بمثله، بل بآية من مثله، فعجزوا، فتبين صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم من خلال ذلك.

ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم وآيات صدقه أوسع من أنْ تحصى، ومع هذا لم يؤمن به كثير من الناس في ذلك الوقت.

---

[1] البوطي، محمد، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ط6، 1399هـ، ص175

والإمام المهدي عليه السلام كذلك؛ فإنَّ آيات صدقه عديدة، لكن كثيرًا من الناس لا يعيرها أهمية، كما هي حال اليهود والنصارى الذين لا يعيرون أي اهتمام لمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم ، وكما هي حال اليهود الذين لا يعيرون اهتمامًا يُذكر لمعجزات نبي الله عيسى عليه السلام.

لقد كان الإمام المهدي يدعو المخالفين والمتشككين أنْ يأتوا إليه وينزلوا ضيوفًا عليه، ويعيشوا في معيَّته بعضًا من الوقت، حتى يروا بأنفسهم وقوع هذه الآيات تصديقًا له وتأييدًا من رب العالمين.

إن الآيات التي أيد الله تعالى بها عبده الإمام المهدي وصلت الآلاف، ولسنا في صدد سردها، بيد أنَّ آية الخسوف والكسوف كانت مميزة في هذا المجال، وكان اتهام تأليفها واختراعها لا يبدو سهل المنال. كما كانت نجاة أفراد الجماعة ومؤسسها من وباء الطاعون الذي اكتسح البلاد من دون أنْ يُطعَّموا آية بيِّنة لمن تدبَّر.

عندما أعلن الإمام المهدي أنَّ الله اصطفاه مهديًّا، سخر الناس منه، وعادوه، واتهموه بالكذب محتجين بأنَّ من علامات ظهور المهدي وقوع خسوف وكسوف في شهر رمضان، وحيث إنَّ هذا لم يحدث، فهو ليس بصادق. فما كان منه إلا أنْ أخبرهم قائلاً: إذا كان هذا حديثًا لرسول الله فلا بد أنْ يحدث حتمًا. وهكذا كان؛ ففي سنة 1894م حدث خسوف للقمر في أولى ليالي الخسوف، أي في 13 رمضان، وفي الشهر ذاته حدث كسوف للشمس في منتصف ليالي الكسوف أي في 28 رمضان. وقد كان الجو صافيًا، وشاهده الناس في تلك السنة. وليس هذا فحسب، بل تكرر الحدث ذاته في السنة التالية، ليشاهده الناس في النصف الثاني من الكرة الأرضية.

وبهذا تحققت نبوءة عظيمة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلَّم بحذافيرها، وهي قوله (إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض)[1].

ولما حدث هذا كان علامة بيِّنة بالنسبة إلى بعض الناس، بينما أخذ الآخرون يلوون أعناق النصوص ليجدوا منفذًا يردون فيه هذه الآية البيِّنة، كما هي حال الأقوام المعاندة المكذبة المستكبرة.

فقال بعضهم: إنَّ هذا الحديث ضعيف.

قلنا: لو فرضنا،جدلاً، أنَّه ضعيف، فلا يُنْقِصُ ذلك قيمته، لأن الحديث الضعيف لا يعني أنَّ الرسول لم يَقُله، بل يعني أنّنا نشك في أنَّه قاله، بمعنى أنَّه يمكن أنْ يكون قد قاله، أو أنْ يكون قد نسب إليه. وحيث إنه قد تحقق، قلنا إنَّ هذا الحديث الذي ظن البعض احتمال عدم صدوره عن رسول الله ، لا بد أنْ يكون قد صدر عنه. وإلا، فهل يمكن لبشر أنْ يتنبأ نبوءة تتحقق بحذافيرها بعد قرون عديدة؟ إنَّ الغيب لله وحده ولا يُطلع عليه إلا من ارتضى من رسله.

---

[1] سنن الدارقطني، باب صفة الخسوف والكسوف وهيئتهما، ج2ص65

وقال آخرون: إنَّ هذا الحديث موقوف على محمد الباقر، وليس مرفوعًا إلى رسول الله .

قلت: إنَّ الحديث الموقوف على صحابي أو تابعي يعتبر في حكم المرفوع إلى رسول الله إذا كان متعلقًا بالأنباء الغيبية، وبأي أمر ليس قابلاً للاجتهاد. ولما ثبت أنَّ هذا الحديث قاله محمد الباقر، قلنا: لا يمكن أنْ يكون محمد الباقر قد نسجه من خياله، أو أنَّه استنبطه باجتهاده، حيث إنَّه أمر غير قابل للاجتهاد.

وقال آخرون: إنَّ هذا الحديث صحيح، لكنه متعلق بيوم القيامة، فالحديث يصف خسوف القمر في أولى ليالي رمضان، وهذا لا يحدث إلا عندما تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات.

قلت: وما أهمية الحديث إذًا؟ وكيف سيكون علامة على صدق المهدي وقد قامت القيامة؟ لكن هؤلاء جهلوا أنَّ نبينا عندما قال: لأول ليلة من ليالي رمضان، إنما قصد لأول ليلة من ليالي الخسوف.

وقال البعض: إنَّ الشمس والقمر لا ينكسفان لظهور "شخص يزعم النبوَّة"[1] .

قلت: نعم، لا ينكسفان لمن يزعم النبوَّة كذبًا، ولا ينكسفان لموت أحد، بيد أنَّ الله تعالى شاء أنْ يربط بعثة المهدي بظهور هذه العلامة، التي قدّر لوجودها حتى تكون حجة دامغة، حيث لا يقدر أحد أنْ يتحكم بها. ومن ثم فإنَّ حديث الرسول صلى الله عليه وسلَّم (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاته)[2]لا يعني سوى أنَّ الشمس والقمر يجريان بحسبان، ولن تختل حركتهما إذا مات أحد، أو عاش. بينما لا يتطرق الحديث إلى إمكانية أنْ يقدر الله اجتماع كسوف وخسوف في شهر رمضان ليكون علامة على ظهور المهدي.

أما قصة انتشار مرض الطاعون بالهند في تلك الأيام فهي برهان ساطع على صدق الإمام المهدي. كتب الأستاذ زين العابدين وليّ الله يقول:"ومن أعاجيب آيات الله التي رأيناها بأم أعيننا أنَّه بينما كان الناس يموتون مثل الكلاب، ويدفنون في حفرة واحدة بالعشرات والمئات، كان أحمد وأهله وأصحابه في حِرْزٍ حَرِيز من الله، وأمان من الطاعون؛ كأنما الطاعون يعرفهم بسيماهم، فيتزاور عنهم يمينًا وشمالا إلى أعدائهم، ويتركهم بسلام آمنين. لعمري كنا في داره عليه السلام، وكان إخواننا الأحمديون في بيوتهم، والعويل والصراخ والصيحات ترتفع من وراء الجدران، وكنا لا نشعر حتى بحسيس الخوف، بل كنا في غاية الطمأنينة. هذا كان حالنا من جراء ذلك الميثاق الذي كان الله قطعه لنا بلسان أحمد المسيح الموعود في قوله (إني أحافظ كل من في الدار). وكان حضرته من ذلك الميثاق على ثقة غريبة، بحيث طلب من الحكومة في ابتداء هذا الكتاب إعفاء الأحمديين من التلقيح، لكي لا تلتبس آية الله بمعالجات

[1]البسيط، الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص57

[2]سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة الكسوف

بشرية. وقد أجابته الحكومة إلى طلبه ذاك، وبينما كان الناس عامة مجبورين على التلقيح وكانوا مع ذلك يموتون، كنا عنه معافين بسلام.."[1]

إن معايير صدق الأنبياء عديدة، وجميعها متحققٌ في الإمام المهدي والمسيح الموعود **عليه السلام** نبيًّا تابعًا لسيدنا محمد **صلى الله عليه وسلَّم** خاتم الأنبياء والمرسلين. وقد كتب الأخ الكبير الأستاذ مصطفى ثابت كتابًا شاملاً حول هذا الموضوع، إذْ تحدث عن اثني عشر معيارًا من معايير صدق الأنبياء، هي:

1-نبوءات الأنبياء السابقين.

2-حاجة العصر.

3-صفات مدعي النبوَّة.

4-المعاناة والاضطهاد.

5-هلاك الكاذب.

6-حفظ الصادق.

7-الأنباء الغيبية التي يتنبأ بها.

8-الآيات والمعجزات.

9-القول الثابت.

10-استمرار الدعوة.

11-التأييد الإلهي.

12-النصر من عند الله.

وقد بيَّن الكاتب كيفية تحقق هذه النبوءات في الإمام المهدي عليه السلام. وعلى من أراد الاستزادة في هذا الموضوع مراجعة هذا الكتاب[2] لأهميته.

كما أنَّ للشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر كتابًا بعنوان (الرسل والرسالات) يتحدث في الفصل السابع منه عن دلائل النبوَّة؛ حيث قسم هذه الدلائل إلى خمسة أقسام، هي:

1-الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقًا لرسله.

2-بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين.

3-النظر في أحوال الأنبياء.

4-النظر في دعوة الرسل.

---

[1]زين العابدين، مقدمة كتاب التعليم، بيت المقدس، ط2، ص38

[2]انظر ثابت، مصطفى، دلائل صدق الأنبياء، تحت الطبع

5-نصر الله وتأييده لهم.[1]

[1] الأشقر، الرسل والرسالات، ص119-120

تكفير المسلم

روى البخاري في صحيحه عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله:"مَنْ صَلَّى صَلاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي له ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُوله فَلا تُخْفِرُوا الله فِي ذِمَّته"[1].

وقال الطحاوي:"ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين"[2].

وقد شرح قول الطحاوي ابن أبي العز الحنفي فقال:"والمراد بقوله (أهل قبلتنا) من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلَّم "[3]. وقصده من التكذيب هو إعلانه عدم صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.. أي إعلانه الخروج من الإسلام.

كما قال الطحاوي:"ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله"[4]. وقصده من استحلال الذنب هو تخطئة القرآن الكريم أو الرسول صلى الله عليه وسلم.. أي إعلان خروجه من الإسلام.

إن الإنسان يدخل الإسلام بشهادة أنْ لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فيعتقد من خلال هذه الشهادة أنَّ العبادة لله وحده، فهو صاحب الأمر والنهي، والتحليل والتحريم، وإليه يرد الأمر كله. ويعتقد أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلَّم هو خاتم الأنبياء والمرسلين أرسله الله تعالى للعالمين. وأنْ لا حكم ينسخ أحكام الإسلام إلى الأبد.

فمَن دخل الإسلام فلا يجوز تكفيره إلا إذا أعلن خروجه منه بوضوح. وأما الخلاف في تفسير النصوص فمن البدعة السيئة أن يكون باعثا على التكفير.

واللافت أنهم يكفِّروننا على أمر هم أحقُّ أن يُكفَّروا بسببه –على فرض أن التكفير حق– وهو نقضهم لختم النبوة واعتقادهم بنبي بعد محمد صلى الله عليه وسلَّم، ليس من الأمة الإسلامية، بل من أنبياء بني إسرائيل، لن يأتيَ تابعًا، بل سينسخ بعض أحكام القرآن، كالجزية، وحرية دخول الإسلام.

تكفير الجماعة الإسلامية الأحمديَّة

يمكن تقسيم أدلة مكفِّري جماعتنا إلى أقسام ثلاثة[1]:

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة

[2] ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص247

[3] المرجع السابق

[4] المرجع السابق

1-أمور مُفْتَرَيات لا أصل لها، كالاتهام بإلغاء الجهاد، أو العمالة للإنجليز، أو الحج لقاديان.

2-أمور نُزعت من سياقها فبدت منكرة ومناقضة لأصول الدين، مثل بعض الإلهامات.

3-أمور جهلوا أدلتها، فظنوا أنَّ الجماعة ناقضت فيها قطعي القرآن والسنة؛ كموت عيسى، والنبوة الظلية.

القسمان الأول والثاني لا قيمة علمية لهما. ومن ثم لا نرى مبررًا للخوض فيهما.

أما ما جاء في القسم الثالث، فقد بينا سابقًا قوة حجج الجماعة الإسلامية الأحمديَّة في فهمها.

لذا، وبناء على ضوابط التكفير المعروفة لدى أهل السنة والجماعة، لا يجوز تكفير الجماعة الإسلامية الأحمديَّة ألبتة.

ماذا تنقمون منَّا إذًا؟

هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ

هل تنقمون منا أنْ آمنا بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة؟

هل تنقمون منا أن اعتقدنا بتنزيه آي القرآن عن النسخ والنقصان؟

هل تنقمون منا جهادَنا في نشر الإسلام في بقاع الدنيا كلها؟

هل تنقمون منا أنْ ترجمنا معاني القرآن إلى سبعين لغة حتى الآن؟

هل تنقمون منا أنْ فنَّدْنا عقائد غير المسلمين، وخصوصًا عقيدة التثليث وكسرناها؟

هل تنقمون منا ما نقوم به من توزيع نشرات نثبت فيها صدق الإسلام، بلغات العالم كلها؟

هل تنقمون منا أنْ أسمعنا صوت الإسلام أهلَ بقاعٍ وجزر لم يسمعوا به من قبل؟

هل تنقمون منا تواضعنا، وابتعادنا عن منافستكم على مناصب دنيوية؟

هل تنقمون منا أنْ لم نتخذ الدين مطية نحقق من خلاله مآرب شخصية؟

هل تنقمون منا امتلاكنا محطات بث فضائية، نبين عبرها عظمة الإسلام بلغاتٍ عالمية؟

هل تنقمون منا وَحدتنا، تحت قيادة إمام واحد، وأنتم كل يوم في شقاق وافتراق؟

هل تنقمون منا تضاعف أعدادنا السنوي كمًّا وكيفًا؟

هل تنقمون منا صبرنا على إيذائكم وتحملنا افتراءاتكم؟

---

[1]ادعى الدكتور البسيط الإجماع على كفر الأحمديَّة، موردًا قرار المجمع الفقهي الإسلامي. وعند استعراض أدلتهم يتبين حجم الافتراء فيها؛ حيث قالوا إن مؤسس الجماعة ادعى أن النبوَّة لم تختم بمحمد صلى الله عليه وسلّم، وأن الحج لقاديان، وأن الجهاد منسوخ. ولا أرى تعليقًا سوى القول: يجب ألاّ يُتَّبَع هؤلاء العلماء من دون دليل، وإن من قلدهم في افترائهم سيقول-إن لم يتب- يوم القيامة (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ الله مِنْ شَيْءٍ) فيرد هؤلاء قائلين: (لَوْ هَدَانَا الله لهدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ).

هل تنقمون منا اتباعنا الأنبياء في مقابلة إساءاتكم بحسنات؟

ماذا نريد من الناس؟

نريد أنْ نجادلهم بالتي هي أحسن. نريد أنْ نناظر علماءهم في المسائل الخلافية كلها.

نريد من الكبراء أنْ يوقفوا ضغطهم على العوامّ لعَّلهم يسمعون الحق. أمّا نحن فقد كنا ولا زلنا ندعو أفراد جماعتنا كلهم إلى سماع أقوال غيرنا، ونعلنها للجميع: تعالوا وانشروا أفكاركم في مراكزنا وبين أفراد جماعتنا، العالم فيهم والعامي، فالأبواب مشرعة أمامكم.

إذا كانت حججكم بيِّنة واضحة، فانتهزوا الفرصة ولا تضيعوها، سنبثُّ مناظراتنا معكم، ولتكن على الهواء مباشرة، فما يضركم هذا؟!

ولا نطلب منكم مثل ما نقدمه لكم، بل كل ما نطلبه أنْ تتركوا العوامَّ ليختاروا ما يريدون. أنْ لا تقلدوا أبا جهل وفرعون ونمرود في منع أقوامهم من سماع الحقِّ.

كما نطلب منكم ألاّ تفتروا؛ لأنَّ الافتراء محرم، فاتركوا القول التقليدي أنَّ جماعتنا المباركة أسسها الاستعمار، أو أنَّ المهدي عليه السلام ألغى الجهاد، أو أنَّنا غيَّرنا بعض الشعائر الإسلامية كالحج مثلاً، أو بعض العقائد.

ندعوكم أنْ تتجاوزوا هذه المرحلة، وأن تُقبلوا بروح موضوعية منصفة. إنَّ هذه الاتهامات أصبحت تقليدية، لقد ذاقت الجماعات المختلفة منها الأمرّين، وأنا، كفلسطيني، عشت مدة ما قبل الانتفاضة[1] وما بعدها. عرفت، عمليًّا، كيف جرَّت الاتهامات المتبادلة، التي لا أساس لها من الصحة، الدمار على الناس. كانت الاتهامات على مستوى الأفراد، وعلى مستوى التنظيمات.

ولولا أنْ عاهدنا الله تعالى على أنْ نصبر على ظلم الآخرين وافتراءاتهم واضطهادهم لحدثت فتن عظيمة.

لقد أكَّد القرآن العظيم- أكثر من مرة- ضرورة تبيُّن الأخبار قبل تصديقها. قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[2]. وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ الله عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)[3].

[1]المقصود هنا الانتفاضة الفلسطينية الأولى، حيث لم تكن الانتفاضة الثانية قد اندلعت عند تأليف هذا الكتاب..

[2]الحجرات:7

[3]النساء:95

نشرنا بيانا وُزِّع في باحات المسجد الأقصى في أواخر رمضان 1420هـ. دعونا فيه الناس جميعًا إلى الحوار، حوار مثمر بنَّاء، بيد أنَّ أحدًا لم يتقدَّم. وعندما كان يذهب العوامُّ إلى علمائهم يستشيرونهم في الأمر يردون: لا تسمعوا لهؤلاء، إنَّهم يريدون شرًّا، ولهم مآرب من وراء هذا، وإياكم أنْ تسمعوا لهم.

نقول لهؤلاء ما قاله الله تعالى عن حال الكفار مع المؤمنين (وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنهمْ أنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ)[1].

وكثيرًا ما نسمع هذه النغمة من الخصوم يقولون: "إنَّ الجماعة الأحمديَّة تُظهر الإسلام حتى توقع في شباكها السذج، فإذا وقعوا أخبرتهم بالعقائد المناقضة تمامًا للدين الإسلامي".

ونرد على هؤلاء قائلين: ما الذي يمنع هؤلاء السذج أنْ يتركوا الجماعة حين يعلمون الحقيقة؟ ونحن بدورنا ندعوكم إلى أنْ تزوروا هؤلاء (السذج) وأن تُسمعوهم (كلمة الحق) لعلهم (يرجعون).

كما أنَّه يجدر أنْ نبين هنا أنَّ مرددي هذه النغمة لا يقتصرون في ترديدها على جماعتنا، بل إنَّهم يتهم بعضهم بعضًا بالطريقة ذاتها؛ والمتتبع للحركات ومناظراتها وأدبياتها يلحظ هذا بوضوح. وما من جماعة، سواء أكانت إسلامية أم قومية، إلا واتهمت بشتى التهم.

ثم أين الأسرار التي يتحدث عنها بعضهم؟ وإذا كانت موجودة فابحثوا عنها لعَّلكم تكشفونها فتؤجروا. لكن الأمر ليس كذلك، إنَّهم سلبيون، يريدون أنْ يبقوا مسيطرين على عقول العوامِّ، أنْ يمنعوهم من التفكير؛ فهذا في غير مصلحتهم؛ سيقرر كثير من العوامِّ تركهم، والتمرد عليهم عند علمهم الحقيقة. لهذا نراهم يضيقون ذرعًا بذكر الجماعة الإسلامية الأحمديَّة.

أمَّا نحن، فلا نضيق ذرعًا بأحد، ونتحدى أية جماعة، أو أي فكر. إنَّ الفكر الإسلامي راسخة جذورُه في فطرة الناس التي فطرهم الله عليها، فلا خوف من أي فكر. وندعو أصحاب الأديان كلها، وأصحاب المبادئ الوضعية أنْ يناظرونا، إنَّ الحق معنا، إننا آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا.

نقول لأولئك المتباكين على الإسلام: سبب بكائكم هزيمتكم النفسية والروحانية. انهضوا وعلموا أبناءكم حجج دينكم وتحدّوا به العالم. لا تظلوا خائفين من الآخرين، ظانين أنَّ الإسلام يمكن أنْ يضعف أمامهم. لذا لا يجدر التحذير من الحركات الضّالة، بل تجب مناظرتها وإبطال شُبهها على الملأ بالحجج الدامغة. أما التحذير السلبي منها فلا يعني إلا الضعف والعجز عن المواجهة. وليس هناك ما هو أسهل من اتهام الآخرين بالضلال والتحذير منهم، ومن السماع لهم. لكنها ليست طريق المسلم المخلص الحريص على دينه، بل هي طريق من اتخذ الدين مطية، أو وظيفة يقتات منها.

---

[1] ص:7

تناقضاتهم

لو سألت مكفري الأحمديَّة عن سبب ذلك، لسمعت أحد جوابين:

أولهما: "لا ندري، نحن نتبع علماءنا، الذين اتفقوا جميعًا على تكفيركم".

ثانيهما: لأنَّ الجماعة الأحمديَّة تقول باستمرار النبوَّة التابعة، وبموت عيسى.

نقول للقسم الأول: لا يجوز التقليد في أصول الدين، وعليكم أنْ تتحرَّوا الحقيقة بأنفسكم، فلا تؤجروا عقولكم. لقد هاجم القرآن الكريم أولئك المستضعفين الذين يسيرون وراء خطوات ساداتهم وكبرائهم، وبيَّن أنَّهم يوم القيامة يختصمون؛ فلا ينفع المتبوعُ تابعَه. قال تعالى (وَبَرَزُوا لِله جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ الله مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا الله لهدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ)[1].

ونقول للقسم الثاني: إنَّ الأمور التي كفرتمونا بسببها ثبتت صحتها بأدلَّة عديدة. ويجب على المعارض الذي ثبت له خلافها أنْ يسميها شبهات، ويخطئنا عليها، لا أنْ يكفرنا. مع أنَّكم وقعتم في تفسيراتكم المختلفة للغيبيات في تناقضات عديدة.

-قلتم إنَّ الدجال يحيي الموتى، وتلحقه كنوز الأرض إذا دعاها، ويأمر السحاب بأنْ يُمطر فيمطر، ومعه جبال من لحم وخبز، وقد أخذتم هذا كله على ظاهره، فاعتقدتم أنَّ الله تعالى قد منح الدجّال معجزاتٍ كمعجزات الأنبياء، بل أعظم[2]. وهذا مخالف لأصول العقائد، فهل نُكفِّرُكم على هذا؟ بل نقول: لديكم شبهة في ذلك.

-وقال بعضكم: إنَّ الدجال حي الآن وكان حيًّا زمن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلَّم. رغم أنَّ هذا القول يخالف قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلَّم: (أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنها لا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَد)[3]. أمّا من قال بأنَّه لم يولد، فماذا يقول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلَّم الذي ذكر أنَّ الدجال مربوط في جزيرة؟[4]

---

[1] إبراهيم: 22

[2] تفسير الدجّال عندنا يجمع بين الأحاديث كلها، ولا يعارض أصلا من أصول الدين، فالدجال تعني الأممَ الأوروبية التي غزتنا في القرنين الأخيرين. والدليل أن الدجال أمة وليس فردا، قوله صلى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّهُ (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال)

[3] صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة

[4] انظر رواية فاطمة بنت قيس المعروف بحديث الجساسة الطويل في صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة

-وقلتم إنَّ عيسى ينسخ بعض أحكام الشريعة الإسلامية، كالجزية[1]، كما يُكْرِهُ النَّاسَ على الدخول في الإسلام، ناسخًا قوله تعالى (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)[2]. فيَلْزَم من هذا الاعتقاد الباطل أنَّكم تؤمنون بوجود نبي تشريعي بعد محمد صلى الله عليه وسلَّم، وبشريعة جديدة، وبالتالي بدين جديد، أي أنَّكم ابتغيتم غير الإسلام دينًا. ومع هذا كله، فإنَّنا لا نكفركم، بل نقول: لديكم شبهة في هذا الفهم الخاطئ، فأنتم تقولون: إننا نحتكم إلى القرآن والسنة، ولهذا لا نُكفِّركم، رغم أنَّكم خالفتم أصولهما.

-قلتم إنَّ عيسى عليه السلام سيبعث للناس كافة، والله تعالى يقول عنه(وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ)[3]

-تناقضتم في إمكانية التأويل وعدمه، فمرة يقول بعضكم: يجب أخذ علامات الساعة جميعها على الظاهر، ولا يجوز التأويل بحال. ومرة تقولون بوجوب التأويل. ولا شك في أنَّ درجات التأويل عندكم متفاوتة. فالذين لا يؤولون قالوا: إنَّ يأجوج ومأجوج موجودون، فعلا، خلف سد، ويعملون على نبشه يوميًّا، بيد أنَّهم لا يستطيعون. وهؤلاء من الكثرة بحيث يشربون بحيرة طبريا. وعندما نسأل هؤلاء عن يأجوج ومأجوج أتحت الأرض هم أم فوقها؟ يرفضون الإجابة؛ لعلمهم أنَّهم سيتناقضون سواء أقالوا بوجودهم تحت الأرض أم فوقها. وعندما نسألهم عن قتل المسيح للخنزير، وكسره الصليب يقولون: إنَّ هذا كناية، ولا يؤخذ على ظاهره. والسؤال الموجه لهؤلاء: ما دمتم تؤولون هذه العلامة من علامات الساعة، فلماذا لا تؤولون العلامات الأخرى؟4

---

[1]لن يُنسخ أي حكم من القرآن الكريم، أما ما ورد في بعض الأحاديث أن عيسى سيضع الجزية، فليس المقصود بذلك نسخها، بل إنه عندما ينزل عيسى فلن يكون هناك حروب دينية، ولا تكون جزية، وهذا صحيح مُشاهد. وقد استنتج بعض الفقهاء أن وضع الجزية يتضمن تخيير الناس بين الإسلام والقتال. ولا شك أنَّ هذا يخالف مبدأ الحرية الدينية التي أرسى قواعدها إسلامنا العظيم.

[2]البقرة: 257

[3]آل عمران: 50

[4]لست بصدد تبيان الفرق بين تفسيرنا لعلامات الساعة، والتفسير المتداول. ما أودُّ قوله هو وجود تناقضات عديدة عند أصحاب التفسير التقليدي. وبعد أن يفسروا هذه العلامات ونوضح لهم التناقضات في تفسيرهم يقولون:"هذه غيبيات لا يجوز الخوض فيها".

والمعنى أنهم فسروها تفسيرًا متناقضًا، ويُحَرِّمون على غيرهم أن يفسرها تفسيرًا لا تناقض فيه، مدعين أنها غيبيات، فلماذا فسروها بدايةً، طالما لا يجوز الخوض فيها؟

ولمعرفة تفسير علامات الساعة انظر في كتاب القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح.

مناقشة بعض افتراءات مؤلف
(الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام)

توطئة

عندما قرأت هذا الكتاب هالني أنَّ صاحبه عميد كلية شريعة، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: أنَّ الشريعة الإسلامية تحرم الافتراء والظلم، وهو قد افترى وظلم كثيرًا. وثانيها: أنَّ الدارس في أية جامعة يتعلم دومًا أنَّ الموضوعيةَ من أساسيات البحث العلمي. وثالثها: أنَّ الواجب على الباحث أن يكون صادقًا في كتابة مصادر بحثه ومراجعه. بيد أنّا نجد هذا الدكتور يدعي أنَّه رجع إلى مراجع وكتب الأحمديَّة، في حين أنَّه لم يك صادقًا في ذلك. فمن الكتب التي كتبها تحت عنوان (المصادر والمراجع) موهمًا القارئ أنَّه رجع إليها، ما يلي:

إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، توضيح مرام، حقيقة الوحي، سيرة المهدي.

إنِّي أعلنُ أمام الملأ أنَّ له ألف دينار جائزة إذا أثبت أنَّه يملك هذه الكتب. وإذا لم يُثبت–ولن يُثبت– فماذا يقول لتلامذته الذين يشرف على أبحاثهم ويحاسبهم على التحري في النقل؟

عندما فرغت من قراءة كتابه بعثت إليه برسالة عبر الناسوخ (الفاكس) دعوته فيها إلى المناظرة أو اللقاء الخاص، فرد على رسالتي (مركزُ الدراسات المعاصرة)[1] من دون أنْ يتطرق إلى ذكر المناظرة، فبعثت برسالة أخرى إلى الدكتور عن طريق المركز أدعوه فيها ثانية إلى مناظرة هادفة يحدد هو زمانها ومكانها، بيد أنَّ صمته كان جوابه.

لقد وضّحت – في ما مضى– الأمور الأساسية التي حاول الدكتور البسيط، عبثًا، الرد عليها. وأرى من المناسب، الآن، مناقشة بعض الافتراءات الواردة في أثناء كتابه.

هل يقتصر التبشير الأحمدي على المسلمين؟

قال "والتبشير الأحمدي لا يخرج عن نطاق المسلمين بهدف تحريف العقائد وإبطال المناسك والشرائع"[2].

قلت: هذا مجرد ادعاء لا دليل عليه. ولا شك أنَّ من يزور مسلمًا أحمديًا يعلم يقينًا عدم صدق هذا الادعاء؛ فالمسلم الأحمدي يهتم كثيرًا بمعرفة أدلة إبطال عقائد أصحاب الديانات الأخرى، وخصوصًا النصرانية. ويعلم طلاب الجامعات، التي تقيم جماعتنا معارضَ فيها، حجم كميّة الكتب التي تُوزَّع على النصارى، والتي تبطل فيها ألوهية المسيح عليه السلام وتلك المكتوبة باللغة العبرية على الطلبة

---

[1] متولي نشر كتابه

[2] البسيط، الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص3

اليهود، والتي تُثبت فيها الجماعة صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم من خلال التوراة. فأينا يَقصِر تبشيرَه على المسلمين؟

وإذا كنا في فلسطين نعمل على الدعوة إلى الإسلام في الوسط المسيحي أو اليهودي، فإنَّ أفراد جماعتنا في بلاد الله الواسعة يدعون أصحاب الديانات الأخرى كالبوذية والهندوسية إلى الإسلام، ويعملون على إبطال عقائدهم. فَمَن مِنَ الحركات الإسلامية يخطر ببالها أنْ تقوم بما نقوم به في العالم؟

والعجيب أنَّ الدكتور البسيط نفسه وصف الإمام المهدي عليه السلام بأنَّه انبرى للرد على أصحاب الديانات كالمسيحية والهندوسية في المرحلة التي سماها مرحلة الداعية.[1] فلماذا نراه هنا مناقضًا نفسه؛ مدعيًا أنَّ التبشير الأحمدي مقصور على المسلمين؟

تحريف العقائد وإبطال المناسك والشرائع

ثم تهوَّر الكاتب متهمًا الجماعة بالعمل على تحريف العقائد، وإبطال المناسك والشرائع.

أظن أنَّه قصد بتحريف العقائد إثبات موت عيسى عليه السلام. وله أنْ يرى ذلك، ولن تضرَّنا موافقته النصارى في هذا الاعتقاد، ولا مشاركته وغيره في مهرجان الألفية الثالثة لميلاد المسيح مع النصارى[2]. ولكن، ماذا يقصد بإبطال المناسك والشرائع؟! إنَّه محضُ حَصَائِدِ أَلْسِنَة تُكِبُّ صاحبها عَلَى وجهِهِ أَوْ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي النَّارِ. فكل مسلم أحمدي يعتقد أنْ لا حكمَ جديدَ إطلاقًا بعد محمد صلى الله عليه وسلَّم، وأن لا نسخ في القرآن ألبتة، بينما يرى غيرنا من المسلمين أنَّ عيسى عليه السلام ينسخ بعض الأحكام، كما يرون أنَّ أحكام القرآن قابلة للنسخ حسب اجتهاد المجتهدين. ومن حقِّنا أنْ نسأله عن هذه المجازفة وعن هذا التسرُّع وعن إلقائه هذا الكلام على عواهنه!

كلمة القاديانية

قال:"ولا نرى في كتاباتهم الحاضرة ما يشير إلى كلمة "القاديانية" و "قاديان".. ويكتفون بتسمية جماعتهم "الأحمديَّة""[3]

---

[1] المرجع السابق، ص13

[2]شارك الدكتور البسيط وبعض المشايخ مع القساوسة في احتفال أقيم في كفر كنا بعنوان (ألفا سنة على ميلاد المسيح). وقد حاول كل طرف أن يثبت أنّ عيسى عليه السلام حيّ في السماء، وسينزل من السماء لا محالة، وكان واضحًا أن خصم هؤلاء المتآخين هو الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، وكانت ثمة محاولات للرد على حججها الدامغة. ولكنْ ليعلم النصارى جميعًا أن لو اجتمعوا مع من تأثر بهم من المسلمين، فلن يستطيعوا أن يأتوا بدليل بيِّن على حياة هذا النبي الإنسان ابن الإنسان في السماء. وليعلموا أنّنا لم نثبت موت نبي الله عيسى عليه السلام من القرآن الكريم فحسب، بل من الإنجيل أيضًا.

[3] المرجع السابق، ص3-4

قلت: كأنَّ الكاتب قرأ الكتب الماضية، والكتب الحاضرة فلاحظ هذا التطور، كان عليه أنْ يُسجل هذا السبق!! نؤكد له أنَّ الجماعة الإسلامية الأحمديَّة لم تطلق على نفسها -ولو لحظة واحدة- اسم القاديانية، ولم ترد هذه اللفظة في أي كتاب من كتبها، قط. بيد أنَّ الخصوم لم يرتضوا أنْ يسموا الجماعة كما تسمي نفسها، تمامًا كما أطلق كفار مكة على المسلمين لفظة (صابئين)، ولم يرتضوا أنْ يسموهم مسلمين.

لقد سمى الإمام المهدي عليه السلام جماعته (الجماعة الإسلامية الأحمديَّة) نسبة إلى محمد صلى الله عليه وسلَّم، حيث سُمِّي بهذا الاسم في سورة الصف. ولم يسمِّها جماعة المسلمين تأكيدًا منه أنَّ الإسلام ليس حكرًا علينا، بل هو اسم يجمعنا مع كل من آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلَّم نبيًّا ورسولاً.

الشراب المسكر

تحت عنوان (من هو مؤسس الأحمديَّة؟) نقل الكاتب جملاً من كتب الإمام المهدي عليه السلام. ووثق ذلك. وكلي ثقة بأنَّه لم ينقلها من مصادرها الأصلية، بل نقلها عن كتب الخصوم من دون أنْ يشير إلى ذلك. فهذه أمانته العلمية!!

وكان مما نقله أنَّ المهدي عليه السلام "كان يتعاطى -في بعض الأحيان- بعض أنواع المشروبات المقوية والمسكرة"[1]

قلت: لا داعي للرد على هذا الهراء. وفي الصفحة ذاتها نقل أمورًا لا أرى مبررًا لنقلها، ولا التعليق عليها. فالبيِّنة على من ادعى. وإني على ثقة أنَّ الدكتور البسيط نفسَه يعلم أنْ لا صحة لهذه الأباطيل، فلماذا ينقلها؟ ولماذا لم يتطرق إلى الرد عليها وتفنيدها، حيث قرأه في كتاب (أسئلة المعترضين على الجماعة الإسلامية الأحمديَّة والرد عليها). إنَّه أمر مؤسف أنْ يقبل على نفسه أنْ ينقل أقوال مفترين ظالمين ويتبعهم حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ.

وفاة الإمام المهدي عليه السلام

مع أنَّ في حيازة الكاتب كتاب (أسئلة المعترضين على الجماعة الإسلامية الأحمديَّة والرد عليها)، إلا أنّا نراه ينقل تحريفًا حول المباهلة المزعومة بين الإمام المهدي عليه السلام و(ثناء الله الأمرتسري). كان عليه -لو كان منصفًا موضوعيًا- أنْ ينقل ردَّ الجماعة على ما نقله. وأن يشير -ولو بلمحة- إلى الرواية المذكورة. ولست بصدد سرد ما دار بين الإمام المهدي عليه السلام و(ثناء الله الأمرتسري)، وعلى

[1] المرجع السابق، ص6

من شاء معرفة ذلك مراجعة الكتاب المذكور، بيد أني أؤكد أنَّ المباهلة لم تحصل، ولم يتجرَّأ الشيخ ثناء الله على هذه المباهلة التي دعي إليها مرارًا.

الأحمديَّة.. مراحلها وأفكارها

تحت هذا العنوان زعم أنَّ الإمام المهدي عليه السلام يعتقد بِحِرْمة الجهاد ضد الإنجليز، "وأن روح المسيح الموعود قد حلت فيه، وأن ما يتحدث به هو كلام الله كالقرآن والتوراة..وأن قاديان بلدة مقدسة، وقد كنى عنها بالمسجد الأقصى، وهي الثالثة بعد مكة والمدينة، ويسميها أتباعه بالربوة، والحج لها فريضة"[1].

قلت: يبدو أنَّ الدكتور يعتقد أنَّه ليس مؤاخذًا بما يتكلم به!!فراح يلقي الكلام جُزافًا.

إنَّ سكان مدينة ربوة الباكستانية سيضحكون ملء أفواههم عندما نعلمهم أنَّ عميد كلية شريعة في فلسطين يقول: إنَّ قاديان سميت بالربوة. وإنَّ الحج لها فريضة.

أيها البسيط! إنَّ قاديانَ قريةٌ في البنجاب الهندية، وإنَّ ربوةَ مدينةٌ باكستانية. وقد أُسِّسَت بعد وفاة الإمام المهدي عليه السلام بعشرات السنين[2]. ولا قدسية لها. أمّا قاديان، فلا حج لها ولا عمرة، ولا عبادة خاصة بها، وليست زيارتها بواجبة.

كل ما فيها تَذَكُّرٌ لمكان عاش فيه الإمام المهدي، ونزل عليه الوحي فيه، وفيه اعتكف أشهرًا عديدة، وفيه ذكريات تجعل المؤمن يتوق إلى هذا الإمام في تقواه، واتباعه الإسلام ونبي الإسلام، محمد صلى الله عليه وسلَّم.

عندما اعتمرتُ زرت غار حراء، وزرت جبل أحد وقبر حمزة وشهداء أحد وغير ذلك. فهل زيارة هذه الأماكن واجبة؟ لا بالطبع، بيد أنَّها تُذكِّر المسلم بتلك الأيام الخالدة في تاريخنا، وتذكرنا بتعبد نبينا في ذلك الغار بعيدًا عن الجاهلية وأصنامها، وتذكرنا بجهاد المسلمين وتضحياتهم. لذا يحرص المسلم على زيارة هذه الأماكن في حين لا علاقة لمناسك الحج بها.

إن زيارة قاديان مقصورة على التفكر والتأسي، ولا ثمة شعائر أو نُسُك متعلقة بها ألبتة. وهناك مئات المسلمين الأحمديين في هذه البلاد، لا أعرف أحدًا منهم زار قاديان، ولكن كثيرًا منهم حج البيت الحرام في مكة، والباقي ينتظر استطاعة السبيل إليه. فالحج فريضة إسلامية، أما زيارة الأماكن الأثرية وقبور

---

[1] كتابه، ص11-12

[2] أسست مدينة ربوة سنة 1947م، إثر تقسيم الهند وإنشاء دولة الباكستان، حيث هاجر كثير من المسلمين إلى الجزء الذي سمي باكستان. وقد اشترت الجماعة الإسلامية الأحمديَّة أرضًا شاسعة، ثم قامت ببناء مساكن عليها لاستيعاب اللاجئين الجدد. وهي اليوم مدينة كبيرة معروفة.

الشهداء ومواقع المعارك الشهيرة وأي مكان له دلالة تاريخية، تجعل الزائر يعيش تلك اللحظات الخالدة، متأسيًا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إن الشيعة يقدسون مراقد أئمتهم أكثر من تقديسهم مكة والمدينة، وهذا أمر مُصرَّح به عندهم. ومع هذا لا نرى إشارة إلى ذلك، ويُتهم من يُصَرِّح به بالعمل على إثارة الفتن. وفي حين لا توجد أية إشارة إلى وجوب زيارة قاديان، ولا أية إشارة إلى نُسُك متعلقة بها، نرى خصومنا لا يألون جهدًا في اختلاق الأكاذيب. فلماذا لا تُسمى هذه فتنة، أم أنَّه الكيل بمكيالين؟

الجهاد ضد الإنجليز

لن ننتقد الدكتور البسيط على هذا الاتهام، فقد بات اتهامًا تقليديًا.

لا شك أنَّ سياسة (ويل للمصلين) كانت العامل الأكبر في شيوع هذه الأكذوبة حول نسخ الجهاد.

مَعاذَ الله أنْ ينسخ الإمام المهدي عليه السلام حكمًا ثبت في القرآن وفي السنة. بل هو المهدي عليه السلام نفسه الذي علمنا أنْ لا نسخ في شريعتنا الإسلامية الغراء حتى تقوم الساعة، حيث إنَّ الله تعالى قال (اليوم أكملت لكم دينكم)، فالحلال ما أحله الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلَّم، والحرام ما حرماه. فكيف يمكن أنْ يخطر ببال منصف هذا الاتهام.

ولا بد من التأكيد أنّنا لا نقصِر الجهاد على القتال بالسيف، بل نسمي مجادلة أهل الديانات الأخرى وإقامة الحجة عليهم جهادًا. وليس هذا بدعًا من القول، بل إنَّ القرآن الكريم أطلق على ذلك جهادًا كبيرًا. قال تعالى (فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ به جِهَادًا كَبِيرًا)[1].

إذًا، لا يُقال إنَّنا ألغينا الجهاد، بل فهمناه بشموله. أمّا الجهاد بالسيف فهو واجب "للدفاع عن المسلمين ضد أي عدوان يقع عليهم، وعند الدفاع عن المظلومين من المسلمين الذين يعيشون تحت سلطان دولة جائرة غير مسلمة، وعند الاضطهاد الديني وعدم حرية التدين"[2].

ولا بد من التأكيد أنَّ من قتل دون عرضه أو ماله أو ولده فهو شهيد، لكنه لا يُسمى مجاهدًا. والمدافع عن وطنه ضد العدوان شهيد، لكن عمله ليس جهادًا، بل هو قتال، ولكنه قتال واجب، يأثم المقصِّر فيه إثمًا عظيمًا. أي أنَّ الجهاد مقصور على المجادلة بالحجج لنشر الإسلام، وعلى الدفاع ضد هجوم الكافرين على المسلمين لإسلامهم. من هنا لا نسمي قتال البغاة جهادًا، ولا قتال اللصوص المحاربين، فهؤلاء لا يقاتلوننا لديننا، مع أنَّ قتال هؤلاء واجب. إذًا لا بد من تحرير موضع النزاع أولاً.

---

[1] الفرقان: 53

[2] شلبي، أحمد، الجهاد في التفكير الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة، ط1، 1968م، ص56-58

لقد جاهد نبينا الكريم في بدر وأُحد والخندق وتبوك، لأن المسلمين كانوا مهاجَمين بسبب إسلامهم، لا بسبب نفطهم، ولا بسبب موقعهم، ولا بسبب عرقهم العربي. مع أنَّهم لو هوجموا لأي سبب مما ذكرنا لوجب الدفاع، لكنَّ هذا الدفاع لا يُسمى جهادًا، بل يسمى قتالاً واجبًا.

ولكن لماذا لم يجاهد المهدي عليه السلام الإنجليز محتلي الهند آنذاك؟

لا شك أنَّ السؤال خاطئ؛ فالمهدي عليه السلام قد جاهدهم الجهاد الكبير، وهو جهاد الحجة والبرهان، وذلك من خلال وقف مدِّ التنصير المسيحي في القارة الهندية، ثم دعوة النصارى أنفسهم إلى الإسلام، من خلال إبطال عقيدة التثليث وإثبات صدق رسالة الإسلام. ولا ننسى الرسائل التي بعثها للملكة فكتوريا ملكة بريطانيا. ولقد شهد الأعداء قبل الأصدقاء لجهود مهدينا عليه السلام الضخمة في هذا المجال. فهذا الدكتور البسيط يتحدث عن مراحل الدعوة الأحمديَّة فيذكر مرحلة الداعية، ويصفها قائلا:" حيث انبرى (يقصد المهدي عليه السلام) للرد على أصحاب الديانات، كالمسيحية والهندوسية"[1] وقال آخر:"وقد شغل القادياني في بداية اشتهار أمره بمناظرة رجال التبشير والهندوس، فتعلق الناس به"[2]

أما الجهاد بالسيف فلم يقم به ضد بريطانيا، للأسباب التالية:

1-لا بد من التأكيد أنَّ بريطانيا باحتلالها البنجاب لم تحتل بلدًا إسلاميًّا، بل احتلت بلدًا يحكمه السيخ الذين كانوا يمنعون المسلمين من الصلاة والأذان وتعلم الدين، وكانوا يستولون على ممتلكات المسلمين، ويحرمونهم من الوظائف، كما كانوا يختطفون بنات المسلمين ويعتدون عليهن. فلما احتلت بريطانيا البنجاب أعطت المسلمين حرية ما كانوا ينعمون بها، ولم يكن هذا حبًّا في المسلمين، بل كانت هذه سياستهم في إتاحة الحرية الدينية، "فأعادوا حرمة آلاف المساجد التي كانت مصادرة في حكم السيخ، وردوا آلاف البيوت لأصحابها المسلمين."[3]

2- لم تعتدِ بريطانيا على الهند وأهلها بسبب إسلامهم، بل طمعًا في خيراتها، ومن ثمَّ لا يُسمى قتالهم جهادًا، بل يسمى قتالاً.

3-ما كان ينبغي أنْ يقاتل المسلمون بريطانيا هناك؛ فلا قدرة لهم على مقاومتها. وقتالهم في هذه الحال لا قيمة له، ولا أثر.. وكانت النضال بالطرق السلمية أيسر وأسهل وأسرع لطرد المحتلين، وهذا ما أثبتته الأيام فيما بعد.

4-لا شك أنَّ الاحتلال البريطاني أفضل من الظلم والاضطهاد السيخي، فهل نطالب مسلمي الهند بقتال بريطانيا ليعود عهد السيخ البربري؟

---

[1] البسيط، الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص13

[2] العقيدة الإسلامية2، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1996، ص93

[3] الحصني، منير، المودودي في الميزان، ص97

أما بالنسبة إلى ما أسمَوْه مدح مؤسس الأحمديَّة للإنجليز فليس إلا اقتطاع جمل من سياقها، بحيث تعطي معنى مشابهًا لمعنى (ولا تقربوا الصلاة)، وقد وردت هذه الجمل في سياق رسائل يدعو فيها ملكة بريطانيا إلى الإسلام، ويبين لها بطلان دينها، أو عبر رسائل للحكومة يبين لها زيف التهم التي يثيرها خصومه، مشتكين للحكومة محذرين إياها من المهدي، زاعمين أنَّه سيثير القلاقل عمّا قريب. فما كان منه إلا التأكيد للحكومة أنَّه ناصح لها ومخلص، وهذا صحيح، فإنَّ دعوة الحكومة إلى الإسلام هي النصح نفسه، وهي الخير كله، وهي قمة الإخلاص. بيد أنَّ (البسيط) لم يعجبه ذلك فعلق قائلاً:"وهكذا فإنَّه قد اتخذ من دفاعه عن الإسلام ستارًا يخفي به مآربه الحاقدة على الإسلام، إنَّه يريد إلجام المبشرين حتى لا يهيئوا الفرصة لثورة عارمة يقوم بها المخلصون لهذا الدين ضد التاج البريطاني، فلم يكن دفاعه عن الإسلام لوجه الله، ولا غيرة على هذا الدين، إنما كان عمله هذا (إسهامًا) في خدمة أربابه الإنجليز وتأمين أجواء مستقرة لحكمهم البغيض في الهند"[1].

يُفهم من تعليقه ما يلي:

1-أن الإمام المهدي كان معروفًا بشن حملات شديدة على المبشرين المسيحيين، وأن هذه الحملات جعلت بريطانيا متوجسة منه.

2-أن الإمام المهدي أحرص على بريطانيا من بريطانيا نفسها، وأنَّه أفهم من الساسة البريطانيين كلهم، حيث أقنعهم بوجوب شن حملات شديدة على المبشرين المسيحيين، موضحًا لهم أهمية ذلك لبريطانيا ذاتها، حيث لم يفطن لهذا ساستها.

3-أن الإمام المهدي لو لم يشن حملات شديدة على المبشرين لقام المسلمون بثورة عارمة طردت بريطانيا وأتت بدولة الخلافة الراشدة!

4-أن (البسيط) اطلع الغيبَ فعرف أنَّ للإمام المهدي عليه السلام مآرب حاقدة على الإسلام!

ونحن لا نوافقه إلا على النقطة الأولى. فمن السذاجة بمكان أنْ يظن أحد أنَّ بريطانيا تنتظر نصيحة من رجل مسلم هندي. وبالنسبة إلى الثورة الإسلامية الهندية الشعبية العارمة، فيبدو أنَّ الدكتور يظن أنَّ أهل الهند مسلمون جميعًا. ألا يعرف أنَّ الهندوس أكثر من المسلمين، بَله السيخ، والنصارى، وعشرات الأديان الأخرى، وبَله المسلمين بالاسم الذين كانوا في غيهم يعمهون، إلا من رحمه الله، فاتبع إمام زمانه وبايعه على طاعة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلَّم ، وعمل مع المسلمين لرفع شأن الإسلام واسمه عاليًا. فهل ينتظر هؤلاء الهندوس والسيخ ومسلمي الهوية ليقوموا بثورة عارمة ؟

أما الجمل الأخرى التي اقتبسها فلا وجود لها في كتب الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، إنما هي نُقولٌ من خصومٍ لا يَتَّقون الله تعالى.

[1] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص 79-80

الأحمديَّة وإسرائيل

لم يجد الكاتب دليلاً على (عمالة الجماعة!) سوى أمرين:

أحدهما: أنَّ وسائل الإعلام الإسرائيلية تذيع لهم بين الفينة والفينة أنباء نشاطاتهم.

وثانيهما: أنَّ أحد المبشرين الأحمديين قدَّم القرآن الكريم المترجم إلى الألمانية هدية للرئيس الإسرائيلي، بعد أنْ دعاه الأخير إلى زيارته.

مع أنَّ الكاتب لم يصرح بتهمة العمالة، لكنه نقل هذه (الأدلة الساطعة!) من كتبِ مَنْ يتهمُ الجماعة بالعمالة، موحيًا إلى القارئ بذلك.

أما الدليل الأول فلا قيمة له، حيث تنقل وسائل الإعلام ما هو أبسط من هذه الأخبار، على أنَّه يجب التأكيد أنَّ الجماعة الإسلامية الأحمديَّة لا تحوز نصيبًا يُذكر من الإعلام. ولا تذكر وسائل الإعلام سوى الاجتماع السنوي. بل إنها لم تَعُد تذكر حتى هذا الاجتماع السنوي. بينما يحوز غيرنا ساعات إعلامية كبيرة جدًّا. ولسنا نتهم أحدًا. لكنها وسائل الإعلام التي تبحث عما هو مثير وعنيف، ولا ترى في جماعتنا إثارةً وعنفًا، فلا تنقل عنها شيئًا يُذكر.

أما الدليل الثاني فيدل على عظمة هذا المبشر، الذي لم يجد هدية أفضل من إقامة الحجة على رئيس دولة.

الحلول والتناسخ

عندما نقول إنَّ المهدي والمسيح هو شخص من هذه الأمة، وإن عيسى عليه السلام قد مات، وإن المقصود بنزوله مجيء شخص شبيه به في هذه الأمة، يجب ألاّ يظن الخصم أنّنا نقول بعقيدة التناسخ، أو الحلول. فهذه عقائد مخالفة للإسلام طالما بينا بطلانها. لذا فإنَّ قول الكاتب"روح المسيح حلت فيه"[1] باطلة إنْ قصد بها التناسخ، أما إن قصد بها أنَّ صفاته تشبه صفات المسيح ابن مريم، فهذا صحيح.

الزعم بأنَّ الإمام المهدي عليه السلام فضّل نفسه على الأنبياء جميعًا

الحقيقة أنَّ هذا الادعاء مذهل، ولا أدري لماذا يحرصون على تحميل جملة ما لا تحتمل، وعلى إهمال مئات الجمل النثرية والشعرية التي يؤكد فيها إمامنا المهدي عليه السلام أنَّه خادم لمحمد صلى الله

[1] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص11

عليه وسلَّم. لنقرأ بعض الأبيات الشعرية التي قالها الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلَّم:

لا شك أنَّ محمدًا خير الورى   رَيْق الكرام ونخبةُ الأعيان

يا سيدي قد جئت بابك لاهفًا   والقوم بالإكفار قد آذاني

وقال:"إن الله تعالى شرَّفني بمكالمته ومخاطبته، وحصل لي الشرف باتباع النبي وحدَه. ولو لم أكن من أمته ولم أتبعه، وكان لي من الأعمال ما يُقابل جبال الأرض، لما كان من الممكن لي قط أنْ أتشرّف بالمكالمة والمخاطبة الإلهية، لأن النبوّات كلها قد انقطعت إلا النبوَّة المحمدية. فلا يمكن أنْ يأتي نبي مشرّع، أما بعث نبي بغير شريعة فمن الممكن بشرط أنْ يكون ذلك أولاً من أمة محمد صلى الله عليه وسلَّم.[1]

إنَّنا نطلب من مشوهي الحقيقة أنْ ينقلوا الجملة كاملة، وأن يتركوا أسلوب (ويل للمصلين).

تلبيس

تحت هذا العنوان ادعى الكاتب أنَّ الإمام المهدي عليه السلام قد أعلن أنَّه نبي تشريعي، وقد ظن أنَّه أتى بالدليل على هذا، إذ أورد قول الإمام المهدي عليه السلام "ألهمت من الله (وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)".[2]

ثم أتى بدليل آخر، هو نسخ الجهاد.

قلت: أما الآية القرآنية التي ألهمها، ومع أنَّها تحوي حكمًا شرعيًّا، فإنَّ هذا لا يعني أنَّه نبي تشريعي؛ لأن النبي التشريعي هو من يأتي بشريعة ناسخة لشريعة من سبقه. وهنا لم يُلهم الإمام المهدي عليه السلام هذه الآية لينسخ بها شيئًا. ثم إنَّ هذه الآية تحوي خلقًا كريمًا قبل أنْ يكون حكمًا شرعيًّا، حيث يمكن النظر إليها من هذه الزاوية. وعدم مقدرة الخصوم على إيجاد سوى هذا الإلهام الذي اعتبروه تشريعيًّا يدل بوضوح على أنَّ إمامنا المهدي عليه السلام ليس نبيًّا تشريعيًّا، ولم يخطر بباله، ولا ببال أحد من أتباعه ذلك.

أما نسخ الجهاد فقد بيَّنا أنَّ هذا اتهام أصبح تقليديًّا لا قيمة له، وأن الجهاد باقٍ إلى يوم القيامة، ولا يملك أحد نسخَه، ولا نسخَ غيره من الأحكام.

لا مهديَّ إلا المسيح

---

[1] الإمام المهدي، تجليات إلهية، ص28

[2] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص31

تحت عنوان (لا مهدي إلا مسيحهم) ادّعى ضعف الحديث الذي ينصّ ذلك. مدّعيا أن فيه عللاً ثلاثًا، أولاها عنعنة الحسن البصري، وثانيتها: جهالة الجَنَدي وهو أحد الرواة، وثالثتها الاختلاف في سنده.

نقول: نعم، نحن نعتقد أنْ لا مهدي إلا المسيح كما جاء في سنن ابن ماجة، وليس الحديث بضعيف، أما محمد بن خالد الجَنَدي فليس بمجهول، فقد وثَّقَهُ يحي بن معين، ولا يضره جهل الآخرين به ما دام ابن معين قد عرفه ووثَّقَهُ. كما روى عنه الشافعيُّ هذا الحديث. وهل من روى عنه الشافعيُّ مجهول؟ وأما عنعنة الحسن البصري فليست تضرّ هنا، لأنه ثبت أن الحسن البصري قد سمع من أنس بن مالك؛ كما يظهر ذلك من حديث رواه البخاري: (انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوّة في الإسلام، 3309). وأما الاختلاف في سنده فلم يأت عليه بدليل، ولو صحّ لا يضرّه، طالما أن هذا السند صحيح. لذا فليس في السند أية علَّة، بيد أن بعض العلماء أعلّه مَتْنًا، أي أن اجتهاده أدّى به إلى اعتبار أن هذا المتن يخالف ما هو معروف لديه أن المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان، فردَّ الحديثَ بهذا الاجتهاد.. ومعلوم أن الأحاديث لا تُرَدُّ اجتهادًا. وأما أن هذا الحديث يعارض أحاديث أخرى تقول بأن المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان، فهذا فهم خاطئ لحديث جاء يشير إلى أن المسيح هو أحد خدّام الشريعة الإسلامية، وهو الحديث الذي يذكر أن المسيح سينزل فيقول له أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة.[1] فهذا الحديث يرمز إلى أن المسيح سيكون تابعًا للشريعة الإسلامية ولن ينسخ حكمًا واحدًا منها.

أما الأدلة على أنَّ المهدي والمسيح شخص واحد فهي:

1- الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّم قَالَ يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلاً فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا [2]

إذًا، المسيح الموعود والمهدي ليسا شخصيتين مختلفتين، بل هو شخص واحد متصف بصفة المهدوية، وصفة المسيحية، ويجمع في ذاته وظيفتين مختلفتين نوعًا وأهمية، فهو مهدي كونه سيزيل ما شاب العقيدة الإسلامية من شوائب، وكونه سيعمل على إصلاح أحوال المسلمين. وهو مسيح كونه سيعمل على كسر الصليب بمعنى إبطال عقائد النصارى بحجج دامغة.

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، 225

[2] مسند أحمد، باقي مسند المكثرين.

2-الحديث الذي رواه ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّم قَالَ لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلا شِدَّةً وَلا الدُّنْيَا إِلا إِدْبَارًا وَلا النَّاسُ إِلا شُحًّا وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلا الْمَهْدِيُّ إِلا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ [1]

فهذا نص واضح في أنَّهما شخصية واحدة.

3-الحديث الذي رواه البخاري عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وسلَّم كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ[2]

إذا كان عيسى نبيًّا، وكان المهدي رجلاً مؤمنًا مجددًا من دون أنْ يكون نبيًّا، فمن يتبع الآخر؟

إن جملة (وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ) تعني: وهو إمامكم منكم وليس من أمة أخرى، إنّ ابن مريم، هنا، هو إمامنا المهدي عليه السلام من أمة الإسلام، لا من بني إسرائيل. ولسنا بحاجة إلى تكرار أنَّ ابن مريم اسم أطلق على شخص شبيه به، ويسمى هذا في اللغة العربية الاستعارة التصريحية، حيث صُرِّح بالمشبه به، وحُذِف المشبه.

4-لما ثبت يقينًا موت عيسى عليه السلام، لم يبق إلا أن يكون المقصود بنزوله مجيء شخص شبيه به في هذه الأمة، ولن يكون هذا إلا المهدي.

نزول المسيح وختم النبوَّة

قال الكاتب:"إن عقيدة "نزول المسيح" عند المسلمين لا تعارض العقيدة الثابتة في القرآن بأنَّ محمدًا هو النبي الخاتم"[3].

قلت: هذا صحيح. لكنه تابع قائلا: "ذلك لأن عيسى لا ينزل نبيًّا مرسلاً، وإنما ينزل ليحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلَّم فهو تابع للنبي، حاكمٌ بالقرآن الكريم لا بالإنجيل.

قلت: أمَّا أنَّه تابع للنبي حاكم بالقرآن لا بالإنجيل فهذا ما نؤكده دائمًا. أما قوله لا ينزل نبيًّا مرسلاً، فلا أدري ماذا يقصد بذلك! هل ينزل رجلا عاديًا؟ وإذا كان كذلك فهل نزعت منه صفة النبوَّة؟ وإذا نزعت منه فهل نطالَب بالإيمان به عند نزوله؟ وهل يستأهل رجل نُزعت منه صفة النبوَّة وأصبح مجرد رجلٍ صالحٍ، هل يستأهل كلَّ هذه الأحاديث التي بشّرت به؟ والأهم من ذلك كله، ما الدليل على نزع هذه الصفة منه؟ وهل يصح أنْ تنزعوا من نبي الله صفةً منحه الله إياها باجتهاداتكم؟ ألم يصف رسولنا الكريم عيسى الذي سينزل بنبي الله أربع مرات في حديث واحد؟[4]

---

[1] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب شدة الزمان

[2] صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم

[3] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص 58

[4] وُصِفَ عيسى عليه السلام في حديث طويل في صحيح مسلم بأنه نبي الله أربع مرات: (....وَيُحْصَرُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه فَيُرْسِلُ الله عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ

لذا فإنَّ عيسى الذي ينزل هو نبي تابع للشريعة الإسلامية. إذا قلتم هذا فنحن متفقون معكم. لكن يبقى الاختلاف في تحديد شخصية هذا النبي التابع، أهو عيسى الذي أكَّد القرآن موته، أم شخص شبيه به في هذه الأمة؟

وإذا أصررتم على تكفيرنا لقولنا بمجيء نبي ظليٍّ تابعٍ للرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عليكم تكفير أنفسكم أولاً، لأنَّكم تقولون بنبي من خارج هذه الأمة وليس ظلا للرسول صلى الله عليه وسلم.

وإذا قلتم: إنما نكفركم على اعتقادكم بمجيء شخص شبيه بعيسى، وليس بعيسى عليه السلام نفسه. قلنا: أليس الذي يؤمن بنزول عيسى أفضل ممن لا يؤمن؟ وإذا كنتم تكفروننا بناء على فهمنا لنزوله، فعليكم أنْ تُكفِّروا نصف الأمة الإسلامية التي تقول بموت عيسى وعدم نزوله ولا نزول شبيه به.

وإذا ثبت أنَّ الجماعة الإسلامية الأحمديَّة لا تنكر أيّ نصّ ألبتة، باء مكفِّرها بالكفر.

مصدر المعرفة

لقد أطال الكاتب في هذا الموضوع، وما يهمنا هنا أنْ نؤكد أنَّ مصدر المعرفة عندنا هو كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية الصحيحة. أما الإلهام فليس مصدرًا ثالثًا، لكن ينبغي أنْ نعلم "أن الإيمان والعبادة والتقوى ومجاهدة النفس لها أثرها في التوفيق إلى إصابة الحق، ولربما يكشف الله لبعض المتقين من عباده من حقائق العلم في فهم كتابه أو سنة نبيه بالفيض الإلهي والفتح الرباني ما لا يكشفه لغيرهم". [1]

إن تفسيرات الإمام المهدي جميعها لا تعارض القرآن الكريم ولا السنة النبوية حسب أصول اللغة العربية. ولا نعتبر قول إمامنا المهدي تشريعًا مستقلاً، بل نعتقد أنَّ الله هداه لمعرفة الحق من القرآن والسنة من خلال الأدلة. فالقول بأنْ لا نسخ في القرآن، قائم أساسا على أدلة قرآنية عديدة، مثل:

قوله تعالى (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاته ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ).[2] وقول الله تعالى (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).[3] وقوله تعالى (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا).[4]

فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه إِلَى الأَرْضِ فَلا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنهمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابه إِلَى الله فَيُرْسِلُ الله طَيْرًا ....)(صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة)

[1] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص65

[2] هود: 2

[3] فصلت: 43

[4] النساء: 83

بيد أنَّ البسيط يفقد صوابه هنا فيقول:"كيف تقبل إلهاماته (يقصد الإمام المهدي) وهو الذي ينكر القرآن ويزعم أنْ لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود؟ ...."[1]

ويستمر مفتريًا افتراءاتٍ لا نرى مبررًا لسردها. لكننا ننصح القارئ بالرجوع إليها ليلحظ ظلمهم وبهتانهم، وليتيقّن أنَّ الجماعة الإسلامية الأحمديَّة تعاني ما عانته جماعات الأنبياء عبر التاريخ من ظلم واضطهاد، وهي صابرة لا ترد الظلم إلا بالإحسان والدعاء إلى الله تعالى: "اللهُمّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهمْ لا يَعْلَمُونَ".

خاتمة كتابه

قال في خاتمة كتابه:"إن عقيدة ختم النبوَّة عند المسلمين هي عقيدة ثابتة بصريح الكتاب وصحيح السنة بعيدًا عن التأويل، وإن مخالفة ذلك وادعاء النبوَّة كفر صريح مخرج من الملة"[2].

قلت: عليه أن يكفِّر نفسه لإيمانه بعودة المسيح عليه السلام.

وقال: "تفريق الأحمديَّة بين النبوَّة التشريعية وغير التشريعية غير مُسلَّم".

قلت: هذا التفريق لم تبتدعه الأحمديَّة، بل قال به علماء سابقون حرفيًا، كالشعراني وابن عربي وعلي القاري وغيرهم، وقال به آخرون، ضمنيًّا، عندما فرّقوا بين الرسول والنبي، فقالوا: إنَّ الرسول هو من أوحى إليه الله بشريعة جديدة، والنبي هو من أوحي إليه بوجوب اتباع رسول سابق له. فهؤلاء قسموا من بعثهم الله تعالى إلى قسمين، فمن جاء بشريعة سمَّوْه رسولاً، ومن جاء تابعًا سمَّوْه نبيًّا، ونحن كذلك، قسمنا من بعثهم الله إلى قسمين، فمن جاء بشريعة سميناه نبيًّا (رسولاً) تشريعيًا، ومن جاء تابعًا سميناه نبيًّا (رسولاً) تابعًا. فالخلاف اصطلاحي فقط، ولا مشاحة في الاصطلاح، على أنّنا قد أثبتنا — في ما مضى– أنَّ تعريفهم ليس دقيقًا.[3]

لذا فإنَّ تقسيم الأنبياء إلى قسمين أمر متفق عليه بين المسلمين، وهو واقع ملموس معروف لا يجادل فيه مجادل؛ فقد كان موسى نبيًّا تشريعيًا، وكان هارون تابعًا له. وقد بعث الله تعالى كثيرًا من الأنبياء إلى بني إسرائيل لم يأتوا بشريعة جديدة، بل كانوا تابعين لشريعة التوراة التي جاء بها موسى من عند الله تعالى.

ثم تابع قائلاً: "ودعواهم أنَّ مرزا غلام أحمد جاء بنبوة غير تشريعية ليس الهدف منها إلا ترويج دعوته تمهيدًا للإيمان بختمه النبوَّة"[4]

---

[1] الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، ص66

[2] المرجع السابق، ص83

[3] انظر موضوع الفرق بين النبي والرسول، ص 48

[4] المرجع السابق

تساءلتُ: علامَ اعتمد في هذا الادعاء؟ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا.[1]
وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنهمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى ءَالِهتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ.[2]

يُفهم من كلامه أنَّ ادعاء النبوَّة غير التشريعية ليس كفرًا، إنما الكفر هو في ادعاء النبوَّة التشريعية، وهذا جيد.

لكنه يظن أنَّ هذا الادعاء ليس إلا خدعة. ولا أعتقد أنَّه يصدِّق نفسه في ما يقول. لقد آمن بالإمام المهدي ملايين الناس، وجميعهم يعتقدون أنْ لا حكم إلاّ حكم القرآن وسنة محمد رسول الله. وكلهم يُكفِّرون من اعتقد غير ذلك. فلا داعي لإلقاء الكلام على عواهنه.

وقال:"اعتمد دعاة الأحمديَّة أسلوب التأويل البعيد للآيات القرآنية والأحاديث النبوية"[3].

وبدورنا نقول: روى الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ الله وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتِفِي أَوْ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ الله فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ. وقال الله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَه إِلا الله وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا به كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ).[4]

إذًا، فالتأويل علم بحد ذاته. وهو يعني صرف اللفظ عن ظاهر معناه لمعنًى آخرَ يحتمله لقرينة تقتضي ذلك. ولنأخذ كلمة (الأسد) كمثال، فالمعنى الظاهر لهذه الكلمة هو ذلك الحيوان المعروف. لكن عندما نقول: ناقشت الأسد، فلا يمكن أنْ يكون معنى الأسد هنا الحيوان المعروف، بل يكون معناه إنسانًا معينًا أطلق عليه هذه اللفظة لشجاعته. والقرينة التي جعلتنا نأخذ هذا المعنى هي كلمة (ناقشت)، حيث لا يمكن أنْ نناقش حيوانًا.

ويلجأ العالم إلى التأويل عندما يحصل تعارض ظاهري بين النصوص، بحيث يستحيل الجمع بينها إلا بصرف أحد الألفاظ عن ظاهر معناه لمعنى آخر يحتمله. وفي مسألة وفاة عيسى ورفعه ونزوله مثال واضح على ذلك. وكذلك في مسألة نزول شبيه عيسى، لا عيسى نفسه. مع أنَّ ظواهر نصوص النزول يُفهم منها نزول عيسى نفسه. لكن لما ثبت يقينًا موت عيسى عليه السلام، ولما كان من الممكن أنْ نطلق اسم الشيء على ما يشبهه في أكثر صفاته وخواصه، قلنا بهذا الممكن، مع أنَّه صرف للفظ عن ظاهر معناه، والسبب وجود قرينة، وهي ثبوت موت عيسى عليه السلام.

ولا يوجد مسلم لا يستعمل أسلوب التأويل. وفي علامات الساعة وجدنا الجميع يؤول، فقتل الخنزير لم أجد أحدًا إلا أوله، وكسر الصليب كذلك، حيث لم أجد أحدًا فهم منه أنَّ المسيح ابن مريم سينزل حاملاً (شاكوشًا) يحطم به الصلبان.

---

[1] النجم: 29
[2] سورة ص: 7
[3] المرجع السابق
[4] آل عمران: 8

وهناك كتب في تأويل آي القرآن، وكتب في تأويل الحديث، ككتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري.

لذا نخرج بنتيجة أنَّ التأويل علم عظيم، وأنَّه لا بد منه. وأن هناك تأويلاً محمودًا، وتأويلاً مذمومًا. أما المحمود فهو الذي يؤدي إلى التوفيق بين النصوص، وعدم تضاربها، مع عدم تعارضه مع اللغة العربية. وأما المذموم فهو الذي لا تحتمله اللغة، ويعارض أدلة أخرى.

ثم قال:"عقيدة رفع عيسى عليه السلام بجسده العنصري ثابتة في القرآن الكريم والسنة المتواترة، وهو ما ذهب إليه المحققون من علماء أهل السنة والجماعة"[1].

قلت: لقد بيَّنا بالدليل القاطع موت نبي الله عيسى، وظهر أنَّ الرفع رفع مكانة ومنقبة ومنزلة. وبيَّنا أنَّ هذا القول قال به أكابر علماء أهل السنة المعاصرين، منهم شيخ الأزهر محمود شلتوت، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، والشيخ المراغي، ومحمد الغزالي. وغيرهم كثير. وكلهم غير أحمديين.

ثم قال:"زعم الأحمديون أنَّهم يتفقون مع المسلمين في المبادئ الأساسية من الإيمان بأركان الإسلام والإيمان، وهو زعمٌ غير صحيح، فقد ثبت من خلال النُّقول عنهم أنَّهم يختلفون عن المسلمين في كل شيء، حتى قال مؤسس الأحمديَّة: إنَّنا نخالف المسلمين في كل شيء؛ في الله، في الرسول، في القرآن، في الصلاة، في الصوم، في الحج، في الزكاة وبيننا خلاف جوهري في كل شيء"[2].

قلت: ليس صعبًا أن يستنتج القارئ غير ما فهم هذا الكاتب من كلام الإمام المهدي عليه السلام ، فإنَّ الله الذي نعبده منزه عن المكان والزمان والجهة والحيز، وهو يستجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويوحي إلى الصالحين من عباده الذين قالوا ربنا الله ثمّ استقاموا. بينما يقول كثيرون: إنَّ الله موجود في مكان، وإنّه لا يستجيب الدعاء وانقطع الوحي بأشكاله كلها.

أما بالنسبة إلى الرسول فإننا نؤمن بعصمة الأنبياء جميعًا، وننزههم عمّا نُسب إليهم في بعض كتب التفسير. وأما بالنسبة إلى القرآن فإننا لا نؤمن إلا بقرآن منزه عن النسخ والنقصان، بينما يعتقد كثير من خصومنا أنّ القرآن فيه آيات منسوخة لفظًا، وأنَّ فيه أحكامًا ملغاةً. والمقصود بخلافنا مع المسلمين الآخرين في الصلاة والحج والصوم هو في الخشوع المصاحب لهذه العبادات، ومعرفة الغاية منها، وأن صلاتنا تنهانا عن الفحشاء والمنكر، بينما نراها لا تنهى كثيرًا من غيرنا عن منكرٍ أو فحشاء.

إنَّ هناك جُمَلاً يبدو ظاهرها مناقضًا لمسلماتٍ؛ ويجب على المسلم –حيال ذلك– أنْ يفهم هذه الجُمَل في ظلِّ المفاهيم الواضحة. وهذا ينطبق على كلام الله وكلام رسوله وكلام أي إنسان.

---

[1] المرجع السابق

[2] كتابه، ص 84

روى البخاري عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِي اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً [1].

فهل يليق بأحدٍ أن يقول: إنَّ الله يهرول؟!

وهل يختلف هذا القول عن قول اليهود الذين قالوا: إنَّ الله فقير ونحن أغنياء عندما نزل قوله تعالى (وأقرضوا الله قرضًا حسنًا)، مبررين قولهم بأنَّ الذي يسأل الناس أنْ يُقرضوه هو الفقير، وهذا ظاهر الآية.

فهل يقبل الدكتور البسيط أنْ يكون من هؤلاء؟!

أمّا ما تبقى من كتابه ومن خاتمته فقد رددنا عليه في أثناء كتابنا. وهناك أمور أعرضنا عن الخوض فيها بسبب إساءتها البالغة، أو بسبب اقتطاعها من سياقها. وعدم ذكر مسألة لا يعني موافقتنا إياه عليها.

اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تهدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

[1] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه)

الخاتمة

لا ينبغي أنْ يظن أحد أنَّنا نضيق ذرعًا بما يكتب ضد جماعتنا، بل إنَّنا نفرح بأي كتاب كان، لكن نوَّد من هؤلاء أنْ يتحروا الصدق والحقيقة حين يكتبون. ولا يجدر أنْ يكتفوا بما قرأوه في الكتب، فالجماعة، الآن، منتشرة في العالم كله، وكتبها كذلك، ومراكزها، ومساجدها، وفي إمكان أي شخص أنْ يزورها، ويكتب الحقيقة واضحة.

نود لو أنَّ خصوم الجماعة يدخلون في صميم الموضوع، ويناقشون وفاة المسيح واستمرار النبوَّة التابعة. لا أنْ يقتطفوا جملاً منزوعة من سياقها، أو يفتروا ويختلقوا أمورًا لا أصل لها.

ونحن نتساءل دائمًا: لماذا يخافون الجماعة الإسلامية الأحمديَّة؟

إنَّها –حسب اعتقادهم–يجب أنْ تكون قد بلغت من الضعف الغاية، وإنَّ انهيارها وارد في كل لحظة، وبلمح البصر؛ ذلك أنَّه متى نزل عيسى عليه السلام من السماء، وشاهده الناس، وآمنوا به أجمعون، سيتضح أنَّ ادعاءات الجماعة الإسلامية الأحمديَّة داحضة وباطلة من جذورها؛ حيث إنَّ موت عيسى عليه السلام قضية أساسية، فلو شاهده الناس حيًّا، لانتهت الجماعة. وحيث إنَّ نزول عيسى عليه السلام قريب جدًّا، لا يزيد عن أشهر عند بعضهم!! وقد يحتاج سنتين عند آخرين! فهذا لا يدعو إلى القلق لانتشار الجماعة.

عليكم أنْ تتعاملوا بهذه الثقة إنْ كنتم واثقين من نزول عيسى عليه السلام من السماء، أمّا إذا كنتم تشكون في اعتقادكم فإنَّكم تنزعجون من انتشار جماعتنا. وحيث إنَّ هذا هو الحاصل، قلنا: إنَّكم لستم على بيِّنة من اعتقادكم، بل إنّ كثيرًا منكم لم يعد واثقًا بنزول عيسى عليه السلام، ومن هنا تأتي معاداته.

لقد وضع المهدي عليه السلام حدًّا لاندثار جماعته إنْ لم يكن صادقًا، وليس نزول عيسى عليه السلام من السماء فحسب، كفيل باندثارها، بل إنَّ مجيء ذلك الدجال (صاحب المعجزات !) أو مجيء تلك المليارات(يأجوج ومأجوج) من وراء السد لتشرب بحيرة طبريا، أو مجيء ذلك المهدي الذي يوزع المليارات من الأموال، بحيث يفيض المال ولا يقبله أحد[1]، كل هذا كفيل بإنهاء الجماعة!

هل يقبل عاقل أنْ يضع نفسه وجماعته في هذا المأزق لو لم يكن صادقًا. اسمعوا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام يقول: "ليموتن خصومنا الموجودون جميعهم الآن على قيد الحياة، من دون أنْ يرى أحد منهم عيسى ابن مريم نازلاً من السماء، ثم يموت أولادهم الباقون، من دون أنْ يرى أحد منهم

[1] قد يظن القارئ أنّنا لا نؤمن بهذه الأحاديث الصحيحة. إننا نؤكد إيماننا بها، لكن من دون تناقضات. والمعنى أنّنا نفسرها تفسيرًا لا يجعلها تصطدم بنصوص أخرى يقينية، مثل أنَّ المعجزات خاصة بالأنبياء. ومن شاء أنْ يطلع على تفسير علامات الساعة فعليه بمراجعة كتب الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، وبخاصة كتاب القول الصريح.

عيسى ابن مريم هابطًا من السماء، ثم يموت أولاد أولادهم وهم كذلك لا يرون ابن مريم ينزل من السماء."[1]

وما دام نزول عيسى عليه السلام من السماء قاب قوسين أو أدنى، فسيثبت عدم صدق هذا الكلام، وتنتهي الجماعة الإسلامية الأحمديَّة. فأبشروا إن كنتم موقنين!!

لكن المتَّعِظَ يتأمل في كلام الإمام المهدي عليه السلام، ويتساءل: أيمكن أنْ يكون هذا مفتريًا؟ وبدورنا نساعد هذا الباحث عن الحق قائلين له: دعك من قول علماء السلاطين، ودعك من قول علماء الجماهير، واتَّق الله، وأخلص في نِيَّتك، وادع الله تعالى بإخلاص في جوف الليالي، فلن يخذلك. فهو عزَّ وجلَّ القائل(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلهمْ يَرْشُدُونَ)[2]

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

تَمَّ في 9 من ذي الحجة 1420للهجرة.

---

[1]بشير، نسأل معارضينا وعلماءهم، ص 81، نقلا عن الإمام المهدي، تذكرة الشهادتين، ص65

[2]البقرة: 187

المراجع

كتب التفسير وعلوم القرآن

1. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل
2. الآلوسي، أبو الفضل، روح المعاني، دار الفكر، 1417هـ1997م
3. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، طهران: دار الكتب العلمية.
4. الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة
5. السيوطي، تفسير الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر.
6. السيوطي، جلال الدين، تفسير الجلالين، دار الريان للتراث، 1407هـ1987م
7. طاهر، هاني، تنزيه آي القرآن عن النسخ والنقصان، الجماعة الإسلامية الأحمديَّة في الديار المقدسة، ط1، 2000م.
8. قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط7، 1971.
9. المراغي، أحمد، تفسير المراغي

كتب الحديث النبوي الشريف:

1. صحيح البخاري، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1372هـ.1953م.
2. صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
3. سنن النسائي، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1383هـ.1964م.
4. سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية، 1372هـ.1952م.
5. مسند أحمد، بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1398هـ.1978م.
6. موطأ الإمام مالك، بيروت: دار النفائس، ط6، 1402هـ.1982م.
7. سنن الدارقطني، القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت.
8. كنز العمال، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409هـ.1989م.

كتب أخرى:

1. ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، القاهرة: مكتبة دار التراث.
2. ابن رشد، أبو الوليد، البيان والتحصيل، تحقيق محمد حجّي، إدارة إحياء التراث الإسلامي دولة قطر، د.ط، 1406هـ1986م
3. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ1993م، ج1ص444
4. ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب الإسلامية.
5. الأشقر، عمر، الرسل والرسالات، الكويت: مكتبة الفلاح، ط2، 1403هـ.1983م.
6. البسيط، موسى، الجماعة الأحمديَّة في ميزان الإسلام، *1420هـ.2000م*.
7. بشير، فضل إلهي، نسأل معارضينا وعلماءهم، المملكة المتحدة: الشركة الإسلامية، ط2، 1412هـ.1992م .
8. البوطي، محمد، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، ط6، 1399هـ..

9. الترمذي، أبو عبد الله، كتاب ختم الأولياء، بيروت: المطبعة الكاثوليكية.
10. ثابت، مصطفى، دلائل صدق الأنبياء، تحت الطبع.
11. الحصني، تقي الدين، كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، دار الفكر.
12. الحصني، منير، المودودي في الميزان، الكبابير.
13. زين العابدين، مقدمة كتاب التعليم، بيت المقدس، ط2.
14. شامة، محمد، أثر البيئة في ظهور القاديانية، مكتبة وهبة، ط1، 1980
15. شلبي، أحمد، الجهاد في التفكير الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة، ط1، 1968م.
16. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان(المسيحية)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1978م.
17. شلتوت، محمود، الفتاوى، دار الشروق، ط8، 1395هـ.1975م.
18. العقيدة الإسلامية2، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1996م.
19. الغماري، أبو الفضل، عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى –عليه السلام– وإرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول، مكتبة القاهرة.
20. القاري، نور الدين علي، الأسرار المرفوعة، بيروت: دار الكتب العلمية.
21. القيشاوي، عبد الله، أفكار المؤمنين في حقائق الدين، بيروت: المطبعة الأمريكانية، 1939م.
22. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط
23. مدخل إلى الفقه الإسلامي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1996م.
24. المودودي، أبو الأعلى، ما هي القاديانية، دار القلم، 1404هـ1984م
25. الندوي، أبو الحسن، القادياني والقاديانية، جدة: الدار السعودية للنشر، ط3، 1387هـ.1967م
26. نذير ، أحمد، القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح، الكبابير:الجماعة الإسلامية الأحمديَّة، 1961.
27. الوشتاني، محمد بن خليفة، الإكمال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ1994م

المحتويات